

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٦٩ شوال ١٤٣٨هـ

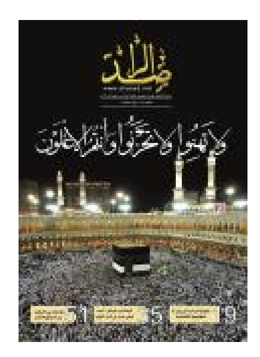
ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون

19 مظلومية أهل السنة في إيران (3) المظلومية الاقتصادية

35 شيعة غرب كردفان.. تعدد شيعي جديد في أرض النيلين

51 دور إيران في فلسطين بين الدوافع والنتائج





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٩)
شوال (١٤٣٨ هـ)

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ ٢

فرق ومذاهب

■ حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج: (٣) جماعة المسلمين، شكري مصطفى ..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

■ ثورات الخوارج (٩): زياد بن أبي سفيان يواجه الخوارج في البصرة والكوفة ..... هيثم الكسواني ١٤

دراسات

■ مظلومية أهل السنة في إيران (٣) المظلومية الاقتصادية ..... ماجد العباسي ١٩
■ الطلاب الدارسون في إيران .. مخططات «النفوذ الناعم» لنشر التشيّع عبر العالم ..... شريف عبد الحميد ٢٠
■ التجربة السياسية الشيعية الحديثة (٥): شيعة اليمن ..... بوزيدي يحيى ٢٦
■ شيعة غرب كردفان.. تمدد شيعي جديد في أرض النيلين ..... د. محمد خليفة صديق ٣٥
■ الاغتيال السياسي في إيران .. الملالي ومواجهة المختلفين ..... أسامة الهتيمي ٣٨
■ المرأة وتناقضات الحداثة ..... فاطمة عبد الرؤوف ٤٥

كتاب الشهر

■ دور إيران في فلسطين بين الدوافع والنتائج ..... أسامة شحادة ٥١

قالوا

■ ٥٤

جولة الصحافة

■ المجاهرة بالإفطار في رمضان مراهقة فكرية تشوّه العلمانية، وتقوّض أركان الحرية ..... موسى برهومة ٥٦
■ (إس-٤٠٠) لتركيا: حقيقة أو مراوغة؟ ..... علي حسين باكير ٥٧
■ ثعابين اليمن.. «المكايدة» وصعود الحوثي ..... د. محمد جميح ٥٨
■ هل «فتح الشام» خوارج أم لا؟! ..... موسى الغنامي ٦١
■ «دير شبيغل» تكشف بالصور جرائم الحشد الشعبي الإيراني، ومنافستهم على اغتصاب النساء ..... بندر الدوشي ٦٣
■ (٧) ملاحظات حول عملية طهران المسلّحة ..... د. محمد السلمي ٦٦
■ «الحشد الشعبي» الخطر الأكبر القادم من الشرق! ..... هيثم المومني ٦٨
■ «حزب الله» بعد أوباما ... انتهاء شهر العسل ..... حنين غدار ٧٠



﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[1]

في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا يجب على الدعاة والعلماء: بثّ روح الصبر واليقين بموعود الله لهذه الأمة؛ بالبقاء والتمكين والنصر، مهما اشتدت الخطوب، وتكالب الأعداء، وتكاثروا من الداخل والخارج.

نعم؛ واقعنا صعب وأعداؤنا كثر وخبثاء، وفينا ضعف وفينا خونة وفينا منافقون، وفينا من يبذل جهده لنصرة الحق والإسلام في المكان الخطأ!

ولكن برغم هذا كله؛ فإن التاريخ يخبرنا جميعًا: أن أُمتنا تعرضت لأكثر من هذا وانتصرت، وذاقت هزيمة أشد من هذه ثم نهضت وتغلبت على خصومها، وأصبحت قائدة للدنيا قرونا عديدة، ومن جهة أخرى فإن شدة العداوة التي تواجهها أمة الإسلام اليوم هي بسبب تزايد قوتها، مما أخاف الأعداء.

فأمة الإسلام اليوم تشهد قوة إيمانية تسري في جنباتها في كل مكان، وها هو رمضان يظهر ذلك؛ من امتلاء المساجد في أنحاء العالم، وتوافد الملايين للكعبة -مركز الإسلام-، واحتفاء الكبار والصغار بالصيام وقراءة القرآن، وانتشار الحجاب، والإعراض عن الربا وبنوكه، والإقبال على تعلم الشريعة، والتلاحم الرائع بين شعوب المسلمين على اختلاف لغاتهم وعرقياتهم، وعلوّ روح الفداء والبطولة في الجهاد والمقاومة ضد المحتل والمغتصب والظالم والمتجبر، والصبر على الآلام والجراح؛ مع الثبات على الحق برغم التشريد والنزوح واليتم والترمل.

ومع هذه القوة المعنوية؛ فإن بلاد المسلمين شهدت نهضة تعليمية؛ بعد عقود من الأمية والجهل والتخلف، وشهدت تقدمًا اقتصاديًا وعمرانيًا بعد عقود من الفقر والعازة، وأصبح هناك نماذج تفوّق عالمية كماليزيا وتركيا ودول الخليج.

وأصبح عباقرة المسلمين وأذكياؤهم جزءًا رئيسًا من نهضة العالم والمدنية؛ سواء في بلاد المهجر، أو في بلادهم حين تتوفر لهم الأسباب.

ولكل ما سبق؛ فإن حركة الدخول في الإسلام من كل بلدان العالم وأديانه؛ بمختلف شرائحهم ومستوياتهم الثقافية والاقتصادية أصبحت ظاهرة معلنة، برغم كل حملات التشويه والتضليل ضد الإسلام والمسلمين، وأيضًا فإن كل المؤشرات العالمية تصرّح بهيمنة الإسلام والمسلمين بعد عقود قريبة على سكان الكوكب، مما أفزع الأعداء الذين يلمسون انقراضهم؛ بسبب مفاهيمهم المنحرفة تجاه الأسرة والمتعة واللذة!

إن إدراك هذه المعالم من قوة المسلمين اليوم مفتاح مهم لفهم سبب تلاحق المؤامرات والخيانات التي تصب على المسلمين؛ لتفتيت صفّهم وإشعال الخلافات والصراعات بينهم، وعرقلة كل الجهود المخلصة لتمتين قوتهم والقضاء على أعدائهم.

فالاحتلال اليهودي لفلسطين والأقصى يتم تجاهله عالميًا، وتجاهل كل جرائمه وإرهابه وعنصريته طوال عقود طويلة، ويتم وَأْد كل محاولة لإدانته دوليًا ورسميًا وشعبيًا؛ ليبقى المسلمون في حالة حيرة واتهامات داخلية.

والطاغية المجرم بشار! ما الذي يبقيه لليوم موجودًا إلا مكر الأعداء وخبثهم لعرقلة تحرر مسلمي سوريا من ربقة الظلم والطغيان، مما يعرقل مطامعهم في خيرات سوريا من الغاز والبترول، أو الخشية من إقلاق اليهود في جبهة الجولان النائمة منذ عقود؛ باسم: «الممانعة والمقاومة»!

والغزو الإيراني الطائفي المباشر، وعبر الوكلاء والفرقاء دون

(١) سورة آل عمران، من الآية (١٣٩).

الدولاتي للدول العربية والإسلامية؛ ما الذي يضفي عليه غطاء المشروعية سوى أنه يشغل المسلمين عن نهضتهم بالصراعات الداخلية والحروب الأهلية، مع تدمير كل المكتسبات والبنى التحتية، مما يحقق كل الأهداف الاستراتيجية للأعداء شرقًا وغربًا.

وما السكوت عن داعش وأخواتها ودعمها من قِبل العديد من الاستخبارات العالمية والإقليمية والمحلية إلا لتشويه صورة الإسلام في العالم وبين عامة المسلمين، وحرف الصراع بين المسلمين وأعدائهم للصراع بين المسلمين وأبنائهم المخدوعين.

ولماذا قضايا الإسلام يدخلونها في دوامة المفاوضات لعقود وعقود دون نتيجة؟! بينما قضايا غير المسلمين تبت بسرعة؛ كفصل تيمور الشرقية عن أندونيسيا، أو فصل جنوب السودان؛ سوى الفزع من قوة الإسلام، والخشية من المارد القوي أن يستيقظ بالكامل!

فمعرفة مواطن قوة الإسلام والمسلمين ومكائد خصوم الإسلام: هي نقطة الأساس لفهم الدور المطلوب من المسلم اليوم ليكون في مربع نصرة الإسلام، ويتجنب المكائد التي يدفعون لها المسلمين للإرهاب والتطرف أو الصدام الداخلي؛ مما يفتت القوة الإسلامية والصف الإسلامي.

إن الفرد المسلم قد لا يمكنه أن يتدخل في سير القضايا الكبيرة بشكل مباشر، لكنه يمكنه فعل ذلك بشكل غير مباشر؛ من خلال الوعي بدوره، ومن خلال الوعي بالأدوار التي تسلط عليه.

فوعي الفرد المسلم اليوم بدوره الحقيقي وهو: الثبات على الحق، ولزوم أمة الإسلام كخطوة أولى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود:١١٢]، حيث يبقى الإسلام وشعائره وأحكامه هي الحكم والفيصل في الآراء والمواقف التي يلتزم بها من جهة، والحفاظ على البقاء مع الأمة المسلمة في همومها ومصالحها.

والخطوة الثانية: التواصي بالحق والصبر، بالحكمة والموعظة الحسنة بما لا يَنتج عنه مفاسد عليه أو على الأمة، إذ في هذه المرحلة من تاريخ الأمة لا يوجد في كثير من القضايا والمواقف السياسية والعامة حق صاف دائمًا، بل هو حق يشتمل على شيء من الباطل، فلذلك يلزم الحكمة في تأييد الحق وإنكار الباطل؛ بما لا يضر بالمصلحة العامة.

ولنتذكر حوار الخليفة القدوة عمر بن عبد العزيز مع ولده عبد الملك؛ حين قال لأبيه الخليفة الصالح: «يا أبتِ! مالك لا تنفذ في الأمور؟ فوالله لا أبالي في الحق لو غَلَت بي وبك القدور! قال له عمر: لا تعجل يا بنيّ! فإن الله -تعالى- ذمّ الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه، وتكون فتنة!».

واليوم نحن مطالبون بنصرة الحق والدفاع عن الإسلام والمسلمين وردّ عادية الأعداء؛ بحسب الوسع والإمكان، ولكن نحن لا يمكننا أن نفعل كل المطلوب معًا، وهذا باب تختلف فيه الأنظار، فالواجب علينا أن نجتهد في ذلك ما أمكننا، ولا يعرقل بعضنا بعضًا إذا لم نتفق على أجندة موحدة، بل ينشغل كل منا بثغرة من ثغور الإسلام، ولا نزيد الفرقة فرقة والخلاف خلافًا!

وما يقع من خلاف وتصادم بين المسلمين إذا لم يمكننا الإصلاح وتسوية الخلاف وتعديل الأخطاء؛ فلا نكون طرفًا في الخصومة ونشعل نارها! ولنتجنب في هذه الفتن الإشاعات والأكاذيب والأراجيف التي يقف خلفها السفهاء والخبثاء، ولنحذر من الدعايات المنمقة والشعارات المزخرفة، فقد تميل بنا عن الحق والصدق.

وكم عانت أمتنا من خداع الشيعة وأذنابهم بشعارات الممانعة والمقاومة وتحدي الشيطان الأكبر، فإذا هم حلفاؤه وشركاؤه! فلنحذر من أمثال هذه الشعارات في صراعنا مع ملالي طهران الطائفيين، فإنهم يجيدون شق الصف وبناء شراكات تهدم الصف، ولنحذر من التساهل مع الغلاة والإرهابيين؛ فهم خنجر في الظهر دومًا؛ لقابليتهم للاختراق والتوظيف.

الخلاصة: لتكن بوصلتنا دومًا: مصلحة الإسلام، ولنراعِ قوتنا وضعفنا، ولا نهدم صفنا بعلاج خطأ بخطأ أكبر منه، وإذا اختلفنا في قضية فلنحذر أن نهدم بقية قضايانا المشتركة الأخرى، ولنتجنب فخاخ الإرهاب، وردة الفعل المتهورة التي يدفعنا إليها الأعداء، ولنحرص على أن نبقى دومًا في خدمة الإسلام.

وهذه المحنة لن تدوم، وسرعان ما تزول..

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٣)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»[(١)]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية:

٣- جماعة المسلمين، شكري مصطفى:

لقد تسبب الظلم المتمثل بالسجن والتعذيب في سنوات (١٩٥٤) وما بعدها، حتى سنة (١٩٦٤) في بروز مناخ غاضب مائل للعنف والتكفير ضد السلطة في المجتمع المصري؛ سواء في داخل السجون أو خارجها، ونتج عن ذلك ظهور مجموعات تتبنى تكفير جمال عبد الناصر، وتسعى إلى ترتيب انقلاب عسكري عليه من داخل الجيش.

وبدأت هذه التنظيمات بدءًا من سنة (٥٨) حتى كانت أول محاولة على يد تنظيم د. صالح سرية سنة (٧٤).

لكن حملة الاعتقالات التي قام بها عسكر جمال عبد الناصر سنة (١٩٦٥) والتي كشفت عن تنظيم سيد قطب

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/٤٢٥).

الجديد داخل الإخوان تسببت بظهور موجة جديدة من العنف والتكفير، استهدفت المجتمع المصري نفسه، ولم تكتفِ بتكفير وقتال رأس السلطة وعساكره، وذلك بظهور فكر جماعة المسلمين على يد الشيخ علي إسماعيل، ومن ثم شكري مصطفى؛ الذي تورط في عدد من العمليات الإرهابية، كان أبرزها: خطف وقتل الشيخ محمد حسين الذهبي -وزير الأوقاف المصري-.

فما هي تفاصيل ميلاد هذا الفكر؟ وما مساراته وتطوراته؟ وما هي الكوارث التي سبّبها للعمل الإسلامي؟

▣ أصل الحكاية في السجن:

في سنة (١٩٦٥) قام الأمن المصري ببضعة اعتقالات عشوائية في صفوف الإخوان المسلمين، نتج عنها: كشف تنظيم الإخوان الجديد؛ الذي يقوده سيد قطب، ولم يكتفِ عسكر عبد الناصر باعتقال أعضاء التنظيم الجديد، بل قاموا باعتقالات طالت كل الإخوان المسلمين؛ الذين في التنظيم والذين خارج التنظيم وخارج السجن، حتى بلغ عدد المعتقلين عشرات الآلاف[1] بينما كان أعضاء التنظيم حوالي (٣٠٠) شخص فقط!!

ولم يقف الأمر عند ذلك؛ بل طال الكثير من أعضاء الجماعات الإسلامية الأخرى؛ كأنصار السنة النبوية وجماعة الدعوة والتبليغ والجمعية الشرعية، بل حتى بعض الشخصيات والرموز المستقلة مثل: الأستاذ محمود شاكر وفؤاد سراج الدين![2]

ومن ضمن المعتقلين كان الشيخ علي إسماعيل -خريج الأزهر وشقيق عبد الفتاح إسماعيل-؛ الذي كان (دينامو) تنظيم (٦٥)، والذي أعدم في القضية مع سيد قطب ومحمد هواش فقط دون بقية المعتقلين، حيث أعدم سيد قطب باعتباره المنظر لهذا الفكر، ومحمد هواش باعتباره البديل الفكري لسيد قطب، وعبد الفتاح إسماعيل باعتباره محرك التنظيم.

ومن ضمن المعتقلين: شاب صغير كان لا يزال في السنة الثالثة في كلية الزراعة اسمه: شكري مصطفى، ويبدو أنه كان من الشباب الذين جذبتهم نشاطات الإخوان السرية في ذلك الوقت، أو كان من الشباب الذين انضموا لحلقات تنظيم (٦٥) دون أن يعرف عن ذلك؛ كما سيأتي في شهادة أحمد رائف.

وقد تعرض المعتقلون لتعذيب شديد، وظلم كبير؛ كعادة نظام عبد الناصر، وبعد انتهاء المحاكمات الهزلية وإعدام سيد قطب وهواش وعبد الفتاح في سنة (١٩٦٦)، هدأت الأحوال قليلًا في السجن، ولكن في عام (١٩٦٧م) طُلب من المعتقلين إرسال برقيات تأييد لعبد الناصر عقب إغلاقه خليج العقبة، أملًا في الإفراج عنهم.

وهو طلب تكرر عدة مرات من قبل في سجون عبد الناصر؛ فأرسل الجميع برقيات التأييد بسبب أجواء الحرب، إلا مجموعة صغيرة رفضت التأييد؛ لأنها تعتقد كفرَ عبد الناصر وعمالته لليهود، وقد كانت بحدود (٣١) شخصًا فقط، منهم: محمد قطب ومأمون الهضيبي وأحمد نصير وعلي إسماعيل وشكري مصطفى، وبعد التحقيق معهم صدر قرار بإعدامهم، وتم عزلهم عن بقية المساجين[3].

مِن بين هذه المجموعة خرج فكر تكفير المسلمين؛ كما يقرر أحمد رائف، فيقول: «ومن الطريف أن فكرة (تكفير المجتمع) كانت قد ظهرت بين أصحاب زنازين شمال بعد ذلك الظلم الذي أصابهم، والقتل الذي كان ينتظرهم يوم (خمسة يونيو).

وسمعتُ بهذا وناديتهم من الفناء: أصحيح أنكم تكفّروننا؟ وردّ المرحوم أحمد نصير -وكان جاري في (عنبر ١٢)-: نعم!

وامتلأتُ دهشة: أتروننا كذلك؟ لسنا من أهل القبلة؟ وهل ترون أنفسكم من المسلمين؟ الإيمان والكفر كلمات تقال!

---

(١) تم اعتقال (٣٤) ألف شخص، منهم (٤٥٠) امرأة، انظر: «الاختلافات الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص١٣٤).

(٢) «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين»، علي العشماوي، (ص٢٤٠)، «البوابة السوداء»، أحمد رائف، (ص٣٧٢).

(٣) «البوابة السوداء» (ص٣٩٤، ٤٠٣).

...وعدت شاردًا واجمًا أفكّر فيما قاله المرحوم أحمد نصير، وأنا أعجب كل العجب!! كيف يفكّرون على هذا النحو؟

ولا شك أن الحكومة هي التي غرست في رؤوسهم هذا التفكير بظلمها وانحرافها وجهلها»[1].

واللافت للنظر هنا: أن أحمد نصير هو ابن أخت سيد قطب، والذي يفتخر ويعتز بفكر خاله سيد في تكفير عبد الناصر علنًا في ندوات السجن لغسيل عقول المساجين[2]! وكان أحمد نصير وابن خالته عزمي بكر شافع مسجونين مع خالهم محمد بعد إعدام سيد ﷺ.

وهذا يذكرنا مرة أخرى بأن بعض من اقتنع بفكر سيد قطب سنة (٦٢) من المساجين أخذ يصرح بتكفير الناس! وهذا يدلل على **خطورة فكر سيد قطب؛ خاصة في مناخ الأزمات**، وأنه في أقل أحواله قابل للتطرف والغلو والتكفير، حتى أن د. عبد المنعم أبو الفتوح يعتبر شكري مصطفى وجماعته وتنظيم صالح سرية من نتاج تنظيم (٦٥)[3].

وممن تبنى التكفير في السجن وكان له دور بارز في ذلك بحكم خلفيته الأزهرية: علي إسماعيل، والذي يروي لأحمد رائف أن التعذيب الرهيب والكفر الذي كان يتلفظ به الضباط كان السبب في دفعه لتكفيرهم وتعميم ذلك على الجميع، ولكنه عقب موت عبد الناصر سكنت نفسه واستطاع العقلاء -ومنهم: المرشد الهضيبي- أن يصلحوا من حاله[4].

ونجد مزيدًا من التوضيح لواقع التطرف والغلو والتكفير في السجون عقب سنة (١٩٦٥) وبداية تشكل فكر شكري مصطفى عند إبراهيم الزعفراني، وهو أحد قيادات الإخوان المسلمين السابقين؛ حيث ينقل عن الشيخ علي إسماعيل قصة بداية الغلو في فكر الغلو والتكفير الذي سيحمل رايته لاحقًا شكري مصطفى؛ فيقول الزعفراني: «حكى فضيلة الشيخ علي عبده إسماعيل -وهو مؤسس فكر هذه الجماعة وأول أمير لها، وهو شيخ أزهري سُجن مع الإخوان المسلمين في الستينيات، وهو أخ شقيق للشهيد الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، نحسبه كذلك ولا نُزكّي على الله أحدًا! وهو أحد قادة الإخوان الذين أعدمهم عبد الناصر-، قال فضيلته:

خرجتُ ذات مرة أصلّي في السجن فرأيت بعض الإخوان يصلّون وحدهم دون الجماعة، فثارت ثائرتي لذلك، وأنكرت عليهم ذلك! وجاءني كلا الطرفين لشرح الموقف، واكتشفتُ أن الفريق الأعظم من الإخوان المسلمين لا يقولون بكفر الحاكم والنظام، ويعدّون عامة الناس مسلمين، في حين أن عددًا منهم -بسبب ما وقعوا فيه من تعذيب، وتجرؤ المعذبين على دين الإسلام أثناء التعذيب-، هؤلاء يقولون: إن الحاكم كافر، وإن أعوانه كفرة، وإن الناس -برضاهم وسكوتهم عن الحاكم- هم كفرة أيضًا، فوقعتُ في حيرة من أمري حيال الرأيين!

ثم ما لبثتُ أن خرجت برأي ثالث اعتقدتُ أنه وسط بين الرأيين، وهو: أن من يسمي نفسه بأسماء المسلمين أو يحمل في بطاقته الديانة (مسلم)؛ فلا نحكم عليه بالإسلام ولا بالكفر، ولكن نتوقف في الحكم عليه حتى نتبيّن إسلامه من كفره، ومن هنا نشأ مذهب (التوقف والتبيين).

ويستطرد قائلًا: لقد حاروتُ كلا الفريقين في السجن،

---

(١) «البوابة السوداء» (ص٤٣٢).

(٢) المرجع السابق، (ص٣٥٦).

(٣) عبد المنعم أبو الفتوح، «شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر»، تحرير حسام تمام، (ص٦٣).

(٤) «سراديب الشيطان» (ص١١٤)، «تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري»، د. السيد عبد الستار، (ص١٣).

لكن نجيب ابن عبد الفتاح إسماعيل وأخاه أنس وأختيهما، وهم أبناء شقيقه عبد الفتاح دينمو تنظيم (٦٥)، سيصبحون لاحقًا من رؤوس التكفير الغلاة؛ لدرجة أن كفّروا أباهم عبد الفتاح الذي أعدم مع سيد قطب لكونه إمامًا وخطيبًا بالأزهر! وكفّروا كثيرًا =

= من رؤوس التكفير؛ حتى سميت جماعتهم بـ (جماعة تكفير التكفير)! نقلًا عن بعض من سُجن معه في بداية الثمانينيات.

وكنتُ مؤهلًا بوصفي شيخًا أزهريًّا أن أدافع عن آرائي، وتتلمذ على يدي كل من شكري مصطفى وعبد الله السماوي، وكانا شابّين في العشرينات، وكان شكري يسجل كل مناظراتي مع الخصوم، ويرتّبها ويستعملها في مناظراته، وذات يوم جلستُ مع نفسي أراجع نظرية (التوقف والتبيين)؛ فوجدتُ أن عليّ أن أنشئ فقهًا جديدًا لم يسبقني به أحد من أهل الفقه الأولين هو: فقه المتوقف فيهم، فمثلًا (هل يجوز لزوجة المتوقف فيه أن تظل على ذمته؟ وإذا مات المتوقف فيه قبل تبيّن إسلامه يرثه أولاده أم لا؟ هل يُدفن في مدافن المسلمين أم ننشئ مدافن تسمى مدافن المتوقف فيهم؟).

وغيرها من المسائل الفقهية التي تستلزم أن أخرج على الأمة الإسلامية بفقه جديد لم يسبقني إليه أحد من أهل السنة.

واستفقتُ على ما استدرجني الشيطان إليه ليجعل مني رأسًا لبدعة ضالة مضلة! وفي صباح اليوم التالي جمعت الإخوان في السجن ووقفت وسطهم أعلن براءتي من نظرية (التوقف والتبيين).

وما أن فعلت ذلك؛ حتى صاح كل من شكري مصطفى وعبد الله السماوي واتهماني بالجبن، وأنهما سيظلان متمسكين بهذه النظرية رغم رجوعي»[1].

○ **وفي هذه الرواية عدة فوائد مهمة لتاريخ التكفير والغلو، هي:**

١ - هناك انقسام في صفوف جماعة الإخوان حول تكفير عبد الناصر والعسكر وعموم الناس، فالغالب على قدماء السجناء من الإخوان المسلمين الذين سجنوا في سنة (١٩٥٤) أنهم لا يرون تكفير عبد الناصر والمجتمع، بينما الذين تأثروا بسيد قطب سنة (٦٢) في السجن أو الذين تأثروا بسيد قطب عبر تنظيم (٦٥) يكفّرون عبد الناصر وعسكره وحكومته، وبعضهم كفّر المجتمع الصامت عن جرائم عبد الناصر، وبعضهم كفر رفقاءه في السجن؛ كما في قصة أحمد نصير!

ويؤيد هذا: ما حكاه أحمد عبد المجيد -أحد القياديين الخمسة في تنظيم (٦٥)؛ حيث ذكر انقسام سجناء الإخوان حول فكر سيد قطب فقال: «فعندما وصل سجناء إخوان (١٩٦٥) إلى سجن قنا، طلب منهم الإخوان القدامى المحكوم عليهم في عام (١٩٥٤) -بعد فترة من استقرارهم- كتابة بعض الأوراق الخاصة بآرائهم، وقالوا: إننا نريد أن نسمع منكم بعد الزوبعة التي أثيرت حولكم، والكلام الذي قيل عنكم بأنكم تكفّرون الناس، وتصدرون الأحكام السريعة، وترمون الحاكم بالكفر، وقد ساهمت أجهزة الإعلام المختلفة في ذلك؟!

وقد أوضح لهم إخوان (١٩٦٥) الأمر، وأنهم لا يقولون بذلك، ولا نكفر أحدًا دون ضوابط شرعية، ثم إنه ليست قضيتنا هي: إصدار الأحكام على الناس والانشغال بذلك، بل نحن ندعو الناس إلى الإسلام بصورته الواضحة الناصعة التي نزل بها على رسول الله ﷺ، مع تبيان ما هم فيه من الانحراف عن منهج الله؛ حتى يفيقوا ويرجعوا إلى الله.

وبعدها تم كتابة مذكرة تقع في أربع وثلاثين صفحة (فولسكاب) تشرح جوانب العقيدة، وما عليه أعضاء تنظيم (١٩٦٥)، اشترك في كتابتها البعض، أذكر منهم: الشيخ فتحي رفاعي، مبارك عبد العظيم، وعبد المجيد الشاذلي.

وبعد فترة من تسلّمهم هذه المذكرة، قالوا: إنه سيحضر مذكرات في هذا الشأن تعالج القضايا والاستفسارات المثارة وستكون من الأستاذ المرشد، وعلينا جميعًا أن ننتظ ذلك».

وبعد فترة وصل خطاب من فضيلة الأستاذ حسن الهضيبي -المرشد العام- كان مما جاء فيه: «... وما كنتُ أعلم أن صاحب «الظلال» قد غيّر في مفهوم الجماعة!

وكانت صدمة شديدة لأفراد قضية (١٩٦٥) بالذات! فهل سيد قطب بعد ما بذل وجاهد حتى قتله الطغاة، تكون هذه نظرة

---

(١) «جماعة التكفير والهجرة»، صفحة د. إبراهيم الزعفراني على (الفيس بوك)، (١٢/ ١١/ ٢٠١٥).

الجماعة إليه؟

وكان بعضهم يقول: إننا نعلم أن سيدًا اقتفى أثر أهل السنة والجماعة فيما قال وكتب، ولم يأتِ ببدع جديد! ثم قال: إنه غيّر في مفهوم الجماعة، وهل مفهوم الجماعة يخالف ما عليه السلف؟!

وحدثت تساؤلات واستفسارات كثيرة، مع حيرة واضطراب ودوامة! عاش فيها هؤلاء الشباب في تلك الأيام، واستمر تأثيرها فيما بعد.

وكان بالإمكان التريث والتأكد قبل الوصول لإثارة النفوس، ولكن لم يحدث ذلك، ولم تمضِ فترة طويلة حتى وصلت تلك المذكرات التي عارضها إخوان (١٩٦٥) جميعًا بلا استثناء، وكذلك بعض إخوان (١٩٥٤)، والبعض أبدى عليها بعض الملاحظات، أما بقية إخوان (١٩٥٤) فقد وافقوا عليها بلا تحفظ؛ باعتبارها تتفق مع آرائهم، إلى جانب أنها صادرة من الأستاذ المرشد ﷺ، باستثناء البعض منهم -كما ذكرت-.

وأعيدت للأستاذ المرشد - في مزرعة طرة - مع الملاحظات، والاعتراضات، وعلمنا أن كثيرًا من إخوان طرة والمزرعة والقناطر -أيضًا- لهم اعتراضات واستفسارات كثيرة على ما ورد فيها، فجزاهم الله خيرًا على صبرهم الطويل وما لاقوه، بعد أن سجلوا صفحة ناصعة لموكب الدعاة، وما يلقونه في سبيل الله»[1].

ويؤيد هذه القصة د. السيد عبد الستار؛ الذي يقول عن (كشكول) دعاة لا قضاة: «صارت عملية تمرير هذا الكشكول على مجموعة من المعتقلين الذين انفردوا بفكر خاص بهم، وكان على رأسهم: الأستاذ محمد قطب وشكري مصطفى وعلي عبده إسماعيل، وكثير ممّن يسمون بـ (القطبيين)، أصحاب الفكر الجديد في الإخوان المسلمين.

وطلب محمد قطب ترتيب جلسة مع الأستاذ الهضيبي ليستفسر منه على بعض النقاط... في المسجد القديم.. وانتهى الاجتماع بين الاثنين على عدم وفاق واقتناع»[2].

ويصف أحمد رائف هذا الخلاف بالانشقاق؛ فيقول: «وكان الانشقاق قد حدث بين الإخوان حول مفهوم الدعوة واستراتيجية الحركة، والأطروحات التي ينبغي طرحها للناس.

وكانت مشكلة المستشار الهضيبي تتلخص في كلمات: (لا نكفّر مسلمًا نطق بالشهادتين)، ويضيف إليها شكري مصطفى ومِن قبله محمد قطب: (وعمل بمقتضاها).

... وكانت ترتب الاجتماعات في المسجد المهجور، القائم بجوار المستشفى في معتقل طرة السياسي في عز الظهيرة حيث لا يتجول إنسان.

وكان المرحوم الإمام الهضيبي -على مرضه وسنّه- ينتقل إلى هناك ليجلس إلى الأستاذ محمد قطب وتلاميذه، ويحاورهم ويناقشهم، ويحاول أن يردّهم إلى ساحة الجماعة»[3].

٢- من حكاية علي إسماعيل يتكرر استنتاج: أن الفريق الذي يميل للتكفير والغلو فيه كان له صلة مباشرة أو غير مباشرة بسيد قطب، فعلي إسماعيل هو شقيق عبد الفتاح إسماعيل؛ الذي كان دينامو تنظيم (٦٥)، وكان له مشاركة في التنظيم؛ بحسب رواية علي العشماوي، ولذلك قُبض عليه، وبحسب رواية أحمد عبد المجيد أنه قبض على علي بسبب عدم القبض على شقيقه عبد الفتاح! وإن كان يمكن جمع الروايتين أن الهدف الأساسي كان هو: عبد الفتاح، لكن جرت عادة عسكر عبد الناصر القبض على أقرباء الهارب أو المختفي، فكيف إذا كان عضوًا بالإخوان وشيخًا أزهريًّا!

ويلزم التذكير هنا: أن علي إسماعيل -بعد الإفراج عنه في عهد

(١) «الإخوان وعبد الناصر: القصة الكاملة لتنظيم (١٩٦٥م)»، أحمد عبد المجيد، نسخة إلكترونية على موقع «الموسوعة التاريخية» الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين.

(٢) «تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري» (ص١٣).

(٣) «سراديب الشيطان»، أحمد رائف، (ص٦٢).

السادات- كان هو السبب في تعريف طلال الأنصاري ومجموعته -التي تربت على كتب سيد قطب- على زينب الغزالي والمرشد حسن الهضيبي، ومن ثم انضموا لصالح سرية في تنظيمه، وهم يظنون أنهم لا زالوا مع جماعة الإخوان[1]، كما أن علي إسماعيل وشكري مصطفى كانا مع محمد قطب في نفس العنبر بالسجن[2].

ولذلك يمكن الإقرار بأن «كلام سيد قطب -بغضّ النظر عن مراده منه بالفعل- صار أحد البذور المهمة التي أثمرت الاتجاهات القطبية الجهادية والتكفيرية التي نشأت في مصر في الستينات والسبعينات»[3].

٣- هذه القصة تبيّن لنا: أن شكري مصطفى كان ضحية لفكر الغلو والتكفير، وليس منشئًا له، وهو ما سنَشرحه لاحقًا.

وقد يكون محاولة البعض تضخيم دور شكري مصطفى للتغطية على الدور السلبي لفكر سيد قطب؛ الذي بدل معالجة أخطائه بتنقيح كتبه وإزالة المواضع المبهمة فيها على الأقل؛ بقي الإصرار على طبعها كما هي! برغم ما تولد عن ذلك من نتائج سلبية عبر هذه السنوات الطويلة!

٤- نتج عن الظلم والتعذيب في السجن والفكر الغالي والتكفيري: ظهور عدة جماعات تكفيرية في داخل السجن «الجماعات الإسلامية الجديدة بمعتقل طرة السياسي؛ والتي تجاوزت الثلاثين، وعدد أفرادها مجتمعين لا يتعدى العشرين»!![4].

ولاحقًا بعد الإفراج عن المعتقلين زادت فرقة هذه الجماعات، ويحدثنا عنها د. إبراهيم الزعفراني: «استمر هذا الفكر التكفيري ينتشر داخل طبقة الشباب حتى أوائل السبعينيات، حتى بعد السنوات الأولى لخروج عدد من الإخوان من السجون في عهد الرئيس السادات، وكان عددٌ قليل منهم يحملون الفكر التكفيري.

مثلًا في الإسكندرية أ.محمد سالم، وأ. محمد عبد المجيد، وكانوا قيادات سابقة لإخوان الإسكندرية، بل وتكونت جماعات تحمل هذا الفكر أكبرها: (جماعة التكفير والهجرة)؛ التي كانت تسمي نفسها: (جماعة المسلمين)، ولا أبالغ إن قلت: أن عدد هذه الجماعات كان بالمئات، وكل جماعة منهم تزعم أنها تمثل جماعة المسلمين، وتكفّر الجماعات الأخرى! بل وكانت بعض الجماعات تكفّر الخارجين عليها، وتعتدي عليهم بالضرب وأحيانًا بالقتل»[5].

وهذه طبيعة الغلو والتكفير.. التشرذم، والتفتت، ومعاداة الاجتماع والوحدة، ومن ذلك: ما نعيشه -لليوم- من انشقاقات جماعات العنف والتطرف على بعضها البعض! ومن أبرزها في حاضرنا: انشقاق (داعش) عن (القاعدة)!

٥- تقدم لنا هذه القصة مثالًا حيًّا ومعاصرًا على كيفية تولّد البدع من بعضها البعض، وكيف تكبر وتتضخم بسبب الجهل، فعلي إسماعيل وجد فريقين: الأول يكفّر بحق وبغير حق، والآخر يتهاون في تعظيم حرمات الله، فلم يكتف بذلك بل ابتدع قولًا جديدًا لا سند له شرعيًّا! ثم بدأ ينزل تطبيقات اجتماعية له، وبعد تراجعه أصر شكري مصطفى وعبد الله السماوي على المضي في الغلو، مع جهلهما وصغر سنهما، ثم لم يكتفيا بغلو شيخهما المتراجع، بل زادا على ذلك كثيرًا؛ وخاصة شكري -وسوف نعرض ذلك بعد قليل-.

٦- أيضًا هذه القصة تقدم لنا دليلًا على ضرورة نشر العلم والتزامه؛ للوقاية من الفتن والغلو، فعلي إسماعيل تمكّن من التيقظ لخلل مساره وغلوه برحمة من الله ﷻ وتوفيقه أولًا، ثم بما

---

(١) فصّلنا ذلك في الحلقة السابقة.

(٢) «البوابة السوداء» (ص٣٩٨، ٤٠٥).

(٣) «اختلاف الإسلاميين» (ص٤٧٣).

(٤) «سراديب الشيطان» (ص١٠٣).

وغالب هؤلاء التكفيريين لم يكن يتجاوز سنه (٢٥) سنة، نفس المرجع (ص١١٦)، وهي علامة من علامات الخوارج في السنّة النبوية.

(٥) «مذكرات الزعفراني.. الفهم الإسلامي في مواجهة الفكر التكفيري(١)»، منشور على شبكة الإنترنت، «اختلاف الإسلاميين» (ص٤٧٠).

لديه من رصيد علمي أزهري تم استثماره للخروج من الفتنة.

▣ شخصية شكري مصطفى وتدرجه في الغلو والتكفير:

شكري مصطفى من مواليد سنة (١٩٤٢م)، وحين قبض عليه سنة (١٩٦٥) كان عمره (٢٣) سنة، وفي السنة الثالثة من كلية الزراعة، وكان شابًّا عاديًّا من شباب الإخوان المسلمين ليس له أي معرفة أو شأن في العمل الإسلامي، ولكن قدّر الله له أن يُسجن مع الزعماء؛ وخاصة مجموعة محمد قطب، ومن هنا بدأت مسيرته في الغلو والتطرف.

وسنعتمد شهادة رفيقه في رحلة السجن أحمد رائف؛ حيث يقول: «ترجع معرفتي بشكري مصطفى إلى أيام التعذيب الأولى بالسجن الحربي، ثم رجعنا إلى معتقل أبي زعبل على قدر، وجمعنا عنبر الزعماء -هكذا كانوا يسمونه-، ثم انفصل مع الآخرين إلى زنازين الشمال، عندما رفضوا تأييد (الملهم)[1]، ثم غادرنا معتقل أبي زعبل السياسي وغادره معنا أهل زنازين شمال، وذهب الجميع إلى معتقل طرة السياسي»[2].

أما نشأته الأسرية؛ فيتحدث عنها أحمد رائف بقوله[3]: «كانت ظروفه الأسرية شديدة؛ فقد طلقت أمه، وتزوج أبوه امرأة أخرى، وتزوجت أمه رجلًا آخر، وهو لا يدري أين يذهب بعد الإفراج عنه! وكان كثيرًا ما يتندر بهذه الحالة ويقول ضاحكًا: هذا الاعتقال حلّ لي الكثير من المشكلات».

أما عن شخصيته وتكوينه الشرعي؛ فيقول أحمد رائف: «قد جاء صدفة إلى السجن الحربي، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره -هذا خطأ لا يناسب تاريخ مولده ولا دراسته!-، وعذّب مثل الآخرين، ... وفوجئت به في عنبر الزعماء وهو الغلام الحدث! وفوجئت أنه لا يعرف الكثير أو القليل عن الإسلام! اللهم إلا الصلاة، ... **كان يسكن في العنبر على مقربة مني**، وكان هذا أدعى للأحاديث الكثيرة بيننا، كنتُ في أغلبها المتحدث الذي يجيب على أسئلته الكثيرة النهمة! فهو يريد أن يعرف قصة الإخوان المسلمين وكيف اعتقلوا؟ ولماذا؟ وما هو الجهاد في سبيل الله؟وكيف قامت دولة الإسلام في سالف عهدها؟ وما معنى: دين ودولة؟ مصحف وسيف؟ كان يَسأل ويَسأل، ولا يفعل أكثر من ذلك، وفيما عدا ذلك فهو مهرّج مع المهرّجين! ضاحك مع الضاحكين في مرح بالغ!!».

ثم بدأ بالتحول قليلًا؛ كما يقول رائف: «ثم انتابته حالة ... فهو يصمت ويستمر في الصمت؛ حتى أنه لا يتبادل الحديث مع أحد بالمرّة! واقتربتُ منه أيامها -وكنت الذي أجيب على أسئلته الكثيرة- أسأله عن سبب صمته المريب؛ فلا يجيب، ويكتفي بالقعود على بطّانيته محدقًا في لا شيء، ويأكل في موعد الطعام ويصلي مع المصلّين، وإذا خرجنا إلى طابور الفسحة لا يخرج معنا ويكتفي بالجلوس وحيدًا في العنبر، متأملًا محدقًا حتى يعود الناس! وتطور الأمر معه فصار يصلي في الليل، وكان في العنبر كثير يفعلون هذا، وانضمّ إليهم وصار واحدًا ممّن يقيمون الليل.

وكففت عن سؤاله عن سبب صمته، واكتفيت بملاحظته عن كثب؛ أحاول أن أدرك ما يفكر فيه، بلا فائدة حتى جاء اليوم الذي رفض فيه التوقيع على التأييد، وانحلّت عقدة لسانه وصار مرحًا ثرثارًا كما كان من قبل... وقال لي بشوشًا: لعلك تعجب من عدم توقيعي على التأييد؟ في الحقيقة نعم.

تريد أن تعرف السبب؟ وقلت له ملحًّا: لو سمحت!

وتنهّد شكري مصطفى تنهيدة طويلة ملأت عينيه بالحزن وفارقه مرحه وبدا جادًّا صارمًا: قد رأيت ما حلّ بنا وما فعلته الحكومة معنا: استباحت أبناءها، وضربتهم بالسياط، وقتلتهم، واغتصبت الفتيات والأطفال، قد رأيت بنفسك هذا هنا في هذا المكان، وفي السجن الحربي كنا سويًّا، وصنّفوني من الزعماء ولست كذلك، قد عرفت هذا بنفسك.

---

(١) «سراديب الشيطان» (ص٩٥).

(٢) نفس المرجع، (ص٩٦).

(٣) «البوابة السوداء» (ص٣٩٩ وما بعدها).

لقد سمعت منك قصة الإسلام بالتفصيل لم أسمعها من قبل، وكلما ازددت معرفةً ازددت غيظًا، والظن أنه إن لم تأتني هذه الفرصة للمعارضة وإعلانها لمتّ كمدًا، أقل ما نفعله لحكومة مثل هذه التي تحكمنا: أن نظهر لها احتقارنا لها، هذا أقل ما ينبغي علينا فعله، ولو استطعت أكثر من هذا ما ترددت».

وهو هنا يتحدث عن تأييد عبد الناصر في حرب (٦٧) -وسبق الإشارة إليه-، وواضح هنا تأثير الظلم بالسجن والتعذيب على شخصية شكري.

وفي قصة شكري خطأ يتكرر كثيرًا في السجون وهو: خلط الشباب الصغار أو المساجين الجنائيين مع شخصيات فكرية أو رمزية في جماعات العنف، مما يحوّل هؤلاء الشباب لمسار العنف والتطرف، فشكري في محيط يعلن كفر الرئيس والحكومة ومعاونيه على لسان محمد قطب[١]، ثم يكفّر أحمد نصير بقية السجناء وهو ابن شقيقة محمد قطب[٢]، ثم كانت فتنة علي إسماعيل بابتداع (التوقف والتبيّن)؛ والتي استمسك بها شكري، ثم غلا فيها وزاد.

ويواصل أحمد رائف تسجيل تطور شخصية شكري مصطفى فيقول: «كان عنبر اثنين هو أعظم العنابر خطرًا على الإدارة والحكومة، وكان في تسلسله يبدأ بغرفة اثنين؛ حيث بها شكري مصطفى ومحمود حلمي والشيخ علي إسماعيل وعبد الله بن أحمد السماوي، وآخرون يبلغ عددهم حوالي العشرين، حيث الحدة في تناول الأمور من وطأة الاعتقال الرهيب والتعذيب البشع الذي كان!

ثم انتقل محمود حلمي وآخرون إلى غرفة ثلاثة؛ حيث محمد قطب (والعشرات)، وهي طبقة الذين قضوا عشر سنين كاملة في السجن دون تأييد، وهؤلاء أقل حدة»[٣].

(١) «البوابة السوداء» (ص٣٥٥).

(٢) نفس المرجع، (ص٤٣٢).

(٣) نفس المرجع، (ص٥٠٨).

«**وكانت غرفة اثنين حيث شكري مصطفى ومن معه تضطرم بالثورة العارمة!** شكري يريد أن يعلنها حربًا على العالم أجمع!! ومن ليس معه فهو من الكافرين، وعنبره هو سفينة نوح والناجي من ركب فيها، ومن ليس معه فهو عليه!

كانت نفسه تضطرم بالغضب والرغبة بالانتقام، ويعلن هذا في كل مكان ولكل شخص، وكلّمه العقلاء والحكماء بلا فائدة، وصار الغضب يغلي في صدره؛ حتى جافاه النوم فهو يقطع الليل جيئةً وذهابًا في الممر الطويل، صامتًا متأملًا يفكر كيف يبدأ ومتى يخرج؟!»[٤].

«**وتغيرت أحوال شكري مصطفى داخل زنازين شمال**، ومن داخل هذه الزنازين نضج فكر الرفض الذي بلغ مداه عندما قالوا بكفر الحكومة، وزادوا في هذا حتى اعتَبروا أن الأرض كلها دار حرب ليس فيها إسلام! وقد تم هذا كله على مراحل»[٥].

وكان غضب شكري المعلن يواجَه بكثير من الحوارات بلا فائدة، منها: هذا الحوار الذي نقله أحمد رائف على هامش لقاءات المرشد الهضيبي بمحمد قطب لمحاولة جمع الآراء، لكن لم يتم ذلك، وبقي المرشد على رأي، ومحمد قطب على رأي[٦]، وشكري وبعض الشباب على رأي ثالث في غاية الغلو والتطرف!

يقول أحمد رائف: «وكان شكري مصطفى يرى القتال الضروس والإرهاب، وقتْل كل من اشترك في تعذيب المعتقلين؛ ليكونوا عبرة لغيرهم، ويجب تعليم الشباب معنى الشهادة والتضحية، وأنه لو قتل ضابط واحد فلن يفكر آخر بتعذيب معتقل واحد بعد ذلك...

(٤) نفس المرجع، (ص٥٠٩).

(٥) «سراديب الشيطان» (ص٩٥).

(٦) «كان محمد قطب نسيج وحده...والفرق بينه وبين أصحاب العنف أنه يدعو إلى الثبات والمواجهة بكلمة الإسلام... وإن كان لا بد من شهداء فليسقطوا تحت هذا الشعار، ويومًا سوف ينتصرون ويتبين الشعب إلى أي شيء يدعون الناس». «سراديب الشيطان» (ص٨٢).

ويقول: إنه من العار على المسلمين أن يمسك بهم كالدجاج دون مقاومة... فلماذا لا نستشهد عندما يفكرون بالقبض علينا... ولماذا لا نبدؤهم بالحرب؟..

وكان يقول: إننا نستطيع تصفية هذه الحرب لصالحنا؛ بقتل بضع مئات من الضباط قبل أن ينتبهوا.

ويسأله عاقل: وما نتيجة ذلك في نظرك؟

...سوف نخلق جيلًا جديدًا من الضباط المؤمنين، سيخافون من القتل، وينتبهون لكلمة الإسلام، ولن ينفذ واحد منهم الأوامر، نحن نسلب الظالم سيفه الذي يضرب به الناس.

ويهز الشيوخ رؤوسهم أسفًا... ويقول حكيم: أنت تدعو إلى فتنة تأكل الأخضر واليابس!»[1].

هكذا كان يفكر شكري في السجن، لكنه حين خرج من السجن هدأ قليلًا، ووجّه طاقته وغلوّه نحو المجتمع بدلًا من النظام ورجالات التعذيب! فهل كان هذا بسبب الغلو في الغلو أم بسبب توجيه خبيث ذكي؟!

يقول رائف: إن شكري واجَه حسن طلعت -مدير مباحث أمن الدولة- حين زارهم في السجن، وقال له: «أنت كافر، ورئيس جمهوريتك كافر، ولئن أحياني الله وخرجت من المعتقل لأقاتلنّكم قتالًا شديدًا، ولئن متّ فسوف يأتي من بعدنا من يقضي عليكم ويزيل دولتكم...

وبطبيعة الحال تحركت الرشاشات والتفّ الجند حول شكري مصطفى، وبإشارة يسيرة من مدير المباحث تركوه... وقام الرجل -حسن طلعت- إلى مبنى الإدارة، وصحب معه شكري مصطفى الذي غاب ساعات»!![2].

ومن يَعرف وحشية أجهزة أمن عبد الناصر يوقن أن ترك شكري حيًّا لم يكن عبثًا! هذا الاستخدام من الأمن لشكري مصطفى لن يتوقف بل سيصبح نهجًا علنيًّا بعد أن يقيم تنظيمه عقب الإفراج عنه.

واستقلّ شكري بغلوّه عن بقية الإخوان ومجموعة محمد قطب[3] وبعد عام (٦٨) أصبح شكري يخلو في سجن طرة بالمسجد المهجور الذي شهد اجتماعات الهضيبي ومحمد قطب، فقد كان «شكري عنيفًا غضوبًا متنائيًا عن الناس، يمهّد لأمر عظيم سوف يكون بعد الإفراج»[4]، ولم يكن يوافقه إلا شخص واحد، ثم انشق عنه وأسس جماعة تبعه فيها شخص واحد أيضًا[5].

وفي سنة (٧٠) كان شكري منبوذًا في السجن من الإخوان[6].

يعلق أحمد رائف بعد سرده لحوار طويل مع شكري مصطفى بقوله: «كان شكري مصطفى مشروعًا خطيرًا، يوشك أن يكون، قد قام المعتقل بإعداده إعدادًا جيدًا، وأشرف عبد الناصر وضباطه على صناعته، ولم يغفلوا تفصيلة صغيرة فيه»[7].

وفي نبوءة صادقة عن أثر سياسات الظلم الرسمية؛ التي

---

(١) «سراديب الشيطان» (ص٦٢).

(٢) «البوابة السوداء» (ص٥٧٤، ٥٨٣-٥٨٤)، وسبق الإشارة لتلاعب إدارة السجن بشكري في (ص٥٠٩)؛ حيث قال أحمد رائف: «واستثمرت الإدارة هذه الروح -الغاضبة- في إجراء التدريبات السمجة»، والتدريبات تعني: الترويض للمساجين.

(٣) يقول د. عبد الله أبو عزة: «تميزت المجموعة القطبية التي تزعمها الأستاذ محمد قطب -شقيق سيد- وهي التي حملت لواء التطرف، ثم انشق عن هذه المجموعة فئة تزعمها شكري مصطفى، وتوالت الانشقاقات بعد ذلك، فقد انسحب من فريق شكري مصطفى شخصان كوّنا من نفسيهما مجموعة منفصلة عن الآخرين، تتبرأ منهم وتكفرهم»! كتابه «الإخوان المسلمون الحركة الأم دراسة نقدية» (ص٢٠٨).
ورصد انشطارات جماعة شكري مصطفى في السجن ثم تطورها باسم (التوقف والتبين) محمد سرور في مقدمة كتابه «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو» الجزء الثاني (التوقف والتبين).

(٤) «سراديب الشيطان» (ص١٣٤).

(٥) المرجع السابق، (ص٧٦، ٩٦، ١٠٣).

(٦) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين»، عبد الرحمن أبو الخير، نقلًا عن «موسوعة العنف»، مختار نوح، (ص٥٢٥).

(٧) «سراديب الشيطان» (ص١١٢-١٢٣).

انتهجتها الأنظمة القمعية على شاكلة نظام عبد الناصر اليساري قال أحمد رائف: «وتركتُه... وأنا أفكر في جريمة عبد الناصر التي ارتكبها في حق هذه الجماهير الممتدة في ذلك الجسد الهائل الممتد من المحيط إلى الخليج، فقد صنع نظامًا إرهابيًّا صار قدوة لكل البلاد المجاورة وهم يقلّدونه.

ومن ثم سوف يكون في كل بلد شكري مصطفى آخر، بملابس مختلفة، ولهجة أخرى، ولكنه سيكون بنفس هذه الروح المدمّرة التي ترفض العلم، وتلقي بنفسها في مجهول الخرافة ... عالَـمًا قد ملئ بالفتية والفتيات، وقد ملئت أخيلتهم بأحلام الشهادة، وضباب التضحية؛ من أجل غاية لا يفهمونها، ومُثل لا وعي لهم بها! ومن خلال طريق مخوفة مجهولة؛ قد فَرض الوهم نفسه عليها!!...»[1]، **وكم ينطبق هذا الكلام على فتنة (داعش) في واقعنا المعاصر**؛ التي عصفت بآلاف الشباب والشابات، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وينقل أحمد رائف عن محمد قطب توقعه الذي تحقق بانتفاش هذه الجماعات التكفيرية الصغيرة، فينقل عن محمد قطب: «قد ترى واحدًا ممّن نراهم رائحين وغادين هنا وهناك يبحثون عن نصير لهم أو تابع فلا يجدون، ولكنهم خارج هذا المعتقل سوف يتبعهم الكثيرون، أكثر مما يظن أي أحد، ربما عشرات الألوف، أو قل: مئات الألوف»[2].

وفعلًا سرعان ما تبع شكري مصطفى عدة آلاف، وانتشر فكره في عدة دول، واليوم (داعش) تجد من يصدق أكاذيبها في مختلف دول العالم!

وينبّه أحمد رائف لقضية مهمة وهي: غفلة الجماعات الإسلامية -وخاصة جماعة الإخوان المسلمين- عن مثل هذه الحالات، وكيف سيكون مستقبلها خطيرًا بسبب إغفالها فحص

(١) «سراديب الشيطان» (ص١١٤).

(٢) نفس المرجع، (ص ١٤٦).

العقائد والأفكار، ومراعاة دروس وتجارب التاريخ.

يقول رائف لشكري مصطفى: «مشكلة الإخوان: أنهم لا يدركون خطورتك، ولا يفكّرون فيك، ولا يتناولونك تناولًا جادًّا، أما أنا فأرى المستقبل؛ لأني قرأت الماضي وفهمتُه، وأكاد أتخيل ما سوف تفعله عندما تغادر هذا المكان»[3].

ويؤيد مختار نوح أن جماعة الإخوان قصّرت في معالجة التطرف فيقول: «إنها -أيضًا- لم تشارك بصورة جادة أو حقيقية في مواجهة هذه الأفكار؛ بالقول أو بالعمل على الأقل»[4].

وهو الأمر الذي ما يزال يتكرر من الجماعة؛ بالاستخفاف بكثير من بؤر التطرف؛ حتى تتضخم وتجلب الكوارث التي كان يمكن علاجها بقليل من العلم والفطنة وسلامة المنهج والتفكير!

◘ الخلاصة:

إن شكري مصطفى الشاب الغر المهرج تحت ضغط السجن والتعذيب والكفر الذي لم يكن يتورع عنه عسكر عبد الناصر، وبسبب سجنه مع مجموعة محمد قطب؛ تشرب فكر سيد قطب[5]، ويبدو أنه فقد توازنه في تلقي فكر سيد -كبعض من سبق لهم تكفير الناس، وتبرأ منهم سيد-، فتحول إلى وحش فكري! يعتقد كفر كلّ الناس؛ حتى من علّمه الغلو والتكفير إلا نفسه ومن تبعه! ويتوعد السلطة بتكوين جماعة تحاربها!

كل هذا وهو جاهل بالشريعة، وسنه آنذاك لم تتجاوز (٣٠) سنة، وتم إطلاق سراحه للمجتمع ليتحول إلى وحش فكري! يطبق نظرياته على خصومه قتلًا وعدوانًا!!

في الحلقة القادمة: نتعرف على تنظيم شكري جماعة المسلمين.

(٣) نفس المرجع، (ص٩٩).

(٤) «موسوعة العنف» (ص١٩٩).

(٥) «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو»، محمد سرور، (١/ ٣٠٠)، والعجيب أن المؤلف يورد نص كلام شكري في اعتماده كلام سيد، ثم ينفي صلة شكري بسيد قطب! قد يصلح أن يقول: إن شكري غلا في فكر سيد أو تجاوزه أو انحرف به عن مراد سيد، لكن القول بأنه لا يربطه رابط بسيد قطب فهذه مجازفة!



ثورات الخوارج (٩): زياد بن أبي سفيان يواجه الخوارج في البصرة والكوفة

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

أصبح زياد بن أبي سفيان واليًا على البصرة في سنة (٤٥هـ)، والبصرة آنذاك أحوالها مضطربة، وتعجّ بالفساد، والفسق فيها ظاهر، والخوارج يثورون فيها مِن حينٍ إلى آخر، بسبب تساهل واليها السابق عبد الله بن عامر رضي الله عنه ولين عريكته، ما أدّى إلى عزلِه عنها، وتعيين الحارث بن عبد الله الأزدي واليًا هناك، لكنه لم يمكث في منصبه سوى أربعة أشهر؛ إذ قام خليفة المسلمين معاويةُ رضي الله عنه بعزله أيضًا، وعيّن زياد بن أبي سفيان بدلًا منه، لتبدأ مرحلة جديدة في التعامل مع الخوارج، قائمة على القسوة، وشنّ حرب بلا هوادة.

ولعلّ المواصفات القيادية التي كان يتحلّى بها زياد سرّعت بتوليته البصرة، فهو أحد دهاة العرب المعدودين، فقد رُوي عن الشعبي قوله: «الدهاة أربعة: معاوية، وعمرو ابن العاص، والمغيرة، وزياد»[1].

وبرزت مواهب زياد القيادية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ فقد كانت له وجاهة عند عمر بن الخطاب[2]، وكان كاتبًا لأبي موسى الأشعري -زمن إمرته على البصرة... وكتب -أيضًا- للمغيرة، ولابن عباس، وناب عنه بالبصرة[3]، وولّاه علي بن أبي طالب على بلاد فارس، في سنة (٣٩هـ)[4]، وظلّ عليها إلى أن صالَح ابنُه الحسن بن علي معاوية، وتنازل له عن الخلافة مطلع العام (٤١هـ).

كما اشتهر زياد بالرأي والحزم والقسوة، قال أبو الشعثاء: «كان زياد أفتك من الحَجّاج لِمن يخالف هواه»[5].

واشتهر -أيضًا- بالفصاحة، وكان خطيبًا مفوّهًا، قال الشعبي: «ما سمعتُ متكلماً قط تكلم فأحسن إلا أحببتُ أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً!»[6].

دخل زياد البصرة في بداية (جمادى الأولى من سنة ٤٥هـ)، ووجد الفسق ظاهرًا فيها، وأحوالها مضطربة -كما

---

(١) الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٨٩).

(٢) المصدر السابق، (ص١٥٧٦).

(٣) الإمام الذهبي، «سِيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية، الجزء الثالث.

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٣).

(٥) الإمام الذهبي، «سِيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية، الجزء الثالث.

(٦) الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٧٦).

أشرنا قبل قليل-، وعلى الفور ألقى في أهلها خطبةً، عُرفت بـ «البتراء»، وفيها تهدّد سكان البصرة وتوعّدهم، كما قدّم فيها الخطوط العريضة لسياسته والإجراءات التي سيقوم بها لإصلاح الأوضاع[1].

ومما جاء في الخطبة: قوله: «أيها الناس! كأنكم لم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب لأهل الطاعة، والعذاب لأهل المعصية، أتكونون كمَن طرقت عينه الدنيا، وسدّت مسامعه الشهوات، فاختار الفانية على الباقية؟!»[2].

وكان زياد يرى منهج السيف وصوابه، وضرورة استعماله في البصرة؛ قبل أن يصبح واليًا عليها، فعندما شكى عبد الله بن عامر إليه فساد الناس في البصرة، قال زياد: «جرّد فيهم السيف!» فقال ابن عامر: «إنّي أكره أن أُصلحَهم بفساد نفسي»[3].

ولم يطل المقام بزياد حتى انتهج الشدّة في البصرة، وزاد من عدد الجند والشرطة، يقول ابن كثير: «ثم ما زال يقيم أمر السلطان، ويجرّد السيف؛ حتى خافه الناس خوفاً عظيماً، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة»[4]، واستطاع في فترة وجيزة الحدّ من حالت التسيّب التي كانت تسود البصرة قبل قدومه[5].

(١)- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٨).

(٢) الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٧٦).

(٣) المصدر السابق، (ص١٥٧٥).

(٤) المصدر السابق، (ص١٥٧٦).

(٥) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٨).

▣ خروج الخطيم الباهلي وسهم الهجيمي:

أما الخوارج؛ فقد عادوا لممارسة هوايتهم الدائمة بالتمرد والثورات؛ ففي السنة التالية لقدوم زياد إلى البصرة -أي: في سنة (٤٦هـ)- خرج عليه الخطيم الباهلي وسهم الهجيمي.

وهذان الاثنان سبق لهما الخروج على عبد الله بن عامر، في سبعين رجلًا، في بداية ولايته على البصرة، في سنة (٤١هـ)، وقتلوا الأبرياء، لكنهم سألوه الأمان بعد ذلك، فمنحهم إيّاه، ورفض أمر معاوية بقتلهم، فلم يزل هؤلاء الخوارج آمنين حتى عُزل ابن عامر عن البصرة[6].

لكن عندما عاود هؤلاء الخروج زمن زياد كان التعامل مختلفًا؛ فالتساهل مع الخوارج المتورطين بجرائم وإراقة دماء مآله الفساد العريض في المجتمع!

يقول ابن الأثير في حوادث سنة (٤٦هـ): «وفيها خرج الخطيم، وهو: يزيد بن مالك الباهلي، وسهم بن غالب الهجيمي فحكّما[7]».

فأما سهم؛ فإنه خرج إلى الأهواز؛ فحكّم بها، ثم رجع فاختفى، وطلب الأمان فلم يؤمّنه زياد، وطلبه حتى أخذه، وقتله وصلبه على بابه.

وأما الخطيم؛ فإن زيادًا سيّره إلى البحرين، ثم أقدمه، وقال لمسلم بن عمرو الباهلي -والد قتيبة بن مسلم-: اضْمنه،

(٦) الإمام ابن جرير الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٥/ ١٧١)، وابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤١هـ).

(٧) أي: رفعا شعار الخوارج المعروف: (لا حُكم إلاّ لله).

فأبى، وقال: إن بات خارجًا عن بيته أعلمتُك، ثم أتاه مسلم؛ فقال له: لَم يبِت الخطيم الليلة في بيته، فأُمر به فقُتل وأُلقي في باهلة»[1].

وعلى الرغم من القسوة التي واجه بها زياد تحرّك الخوارج السابق؛ «إلاّ أنه لم يستغل هذا التحرك للانتقام من بقية الخوارج الموجودين في البصرة، وظلّ وفيًّا لما التزم به في خطبته، معتبرًا أن عدم خروجهم عليه يكفي لضمان أمنهم»[2].

وأكثر من ذلك؛ فقد حاول زياد استمالة بعضهم، وجلبهم إلى صفّه؛ إذ كان في بعض الأحيان يميّز بين الخوارج الذين التزموا بيوتهم ولم يحملوا السلاح في وجه الدولة، وبين الذين أصرّوا على التمرد، وولغوا في دماء المسلمين.

فقد استعمل زياد أحدَ الخوارج على جند سابور، ومنحه أربعة آلاف في كل شهر[3].

ويلخّص المبرد سياسته مع الخوارج في تلك الفترة بأنه: «يقتل المعلن، ويستصلح المسرّ، ولا يجرّد السيف حتى تزول التهمة»[4].

لكن زيادًا سيجنح بعد ذلك للتشدد مع الخوارج والقسوة المفرطة، مع قيام قسم منهم بالخروج في سنة (٥٠هـ)؛ حيث خرج قريب الأزدي وزحّاف الطائي بالبصرة، في سبعين رجلاً، مستغلّين غياب زياد في الكوفة، وأتوا بني ضبيعة، وقتلوا منهم شيخًا، ثم أخذوا يستعرضون الناس، فلا يمرّون بقبيلة إلَّا قتلوا من وجدوا في طريقهم منها، ثم جاؤوا إلى البصرة واغتالوا عددًا كبيرًا من شرطتها، **ومضوا إلى الجامع الكبير؛ فقتلوا خلقًا كثيرًا هناك!**[5]

وهو الأمر الذي يكرره خوارج اليوم؛ فجميع العسكريين في نظرهم كفّار، ودماؤهم مباحة، والمصلّون كذلك! إن لم يكونوا على مذهبهم وعلى هواهم فهم كفار أيضًا، ويجب قتلهم، والمساجد التي يعبدون الله فيها هي مساجد ضرار، لا بأس من تفجيرها أو تدميرها!!

فقد رأينا أحد هؤلاء مؤخرًا وهو يهمّ بالقيام بتفجير في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

وأمر زياد قبائل البصرة بأن تتصدى معه للخوارج، وخطب على المنبر؛ فقال: «يا أهل البصرة! والله لتكفنني هؤلاء أو لأبدأن بكم! والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهمًا!

فثار الناس بهم؛ فقتلوهم»[6].

وتكاد العبارة السابقة تلخّص اثنين من الأساليب التي اتّبعها زياد في مواجهته للخوارج:

---

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤٦هـ).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٩).

(٣) المصدر السابق، (ص٦٩).

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥)، نقلًا عن «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد.

(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٠هـ)، ود. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥)، نقلًا عن «الكامل» للمبرد، و«تاريخ اليعقوبي».

(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٠هـ).

الأول: إلزام قبائل البصرة بمحاربة الخوارج ومطاردتهم وقتلهم.

الآخر: تهديدها بقطع العطاء عنها؛ إن أفلت خارجي من أيديهم، لذلك جدّت القبائل بملاحقة الخوارج من أبنائها، والإبلاغ عنهم.

ويذكر المؤرخون والباحثون: أن خروج قريب وزحّاف كان نذير شؤم على الخوارج[1]، فقد اشتد زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر عامله على البصرة -سمرة بن جندب- بذلك؛ فقتل منهم خلقًا كثيرًا.

وانتهى خروج قريب وزحّاف وأصحابهم بمقتلهم جميعًا؛ حيث خرجت إليهم بعض القبائل فقتلوهم عن آخرهم.

ولم تقتصر شدة زياد على الخوارج، بل شملت ذويهم وأهليهم؛ إذ كان يسجن بعضهم، وينفي البعض الآخر[2].

كما لم يقتصر تشدد زياد على رجال الخوارج، بل تعدّاه إلى نسائهم؛ فقد أخرجوا معهم امرأة، فلما ظفر بها قتلها وعرّاها، فلم تخرج النساء بعد ذلك على زياد، وكُنّ إذا دُعين إلى ذلك قُلن: لولا التعرية لسارعنا[3].

ففجور الخوارج قابله فجور زياد والبادي أظلم!

◘ مواجهة الخوارج في الكوفة:

وعندما توفي والي الكوفة -المغيرة بن شعبة ﷺ- في سنة (٥٠هـ) لم يجد معاوية خيرًا من زياد ليولّيه، فاستعمله على الكوفة والبصرة معًا، فكان أول مَن جُمعتا له[4]، فأخذ يقيم في الكوفة ستة أشهر، ومثلها في البصرة، وعيّن على البصرة عاملًا له هو: سمرة بن جندب.

وإن كان من اختلاف بين الإقليمين، هو: أن الأمن في الكوفة كان أكثر استقرارًا منه في البصرة يوم أن تولاها زياد، إضافة إلى أن الشيعة هناك كانت أكثر عددًا وأعظم قوة، كما كانت خوارج الكوفة أقوى شكيمة وأشد مراسًا[5].

واستمر الخوارج في ثوراتهم طيلة ولاية زياد على البصرة والكوفة؛ ففي سنة (٥٢هـ) خرج زياد بن خراش العجلي في ثلاثمائة فارس، فأتى أرض مسكن من السواد، فسيّر إليه زياد خيلًا عليها سعد بن حذيفة -أو غيره-؛ فقتلوهم.

وخرج على زياد -أيضًا- في هذه السنة رجل من طيء، يقال له: معاذ، في ثلاثين رجلًا فبعث إليه زياد مَن قتله وأصحابه[6].

---

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٠).

(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥)، نقلًا عن «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد.

(٤) المصدر السابق، (ص١٢٤)، وانظر -أيضًا-: ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٧٩).

(٥) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٤).

(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٢هـ).

ولـذلك مـن يظـن أن فكـر الخـوارج يمكـن أن يكـون (وجهة نظر) فهو واهـم! فكـر الخـوارج هـو: شـعلة فـوضى، وشغب دائم! لا يصلح له إلا العلم والحزم.

وبالمجمل؛ فإن حزم زياد مـع الخـوارج أدّى إلى إخمـاد تحركـاتهم في مهـدها، وجعـل الكثـير مـنهم يـترددون في القيـام بالثورة وتعكير صفو الأمن[1].

كما أن سياسته تركت أثرًا عـلى العـراق كلّـه؛ فقـد أولى الحيـاة الاقتـصادية اهتمامًـا زائـدًا، فحفـر الأنهـار، واسـتصلح الأراضي، وراقـب الأسـعار في الأسـواق، فبـسط الـرزق وزاد الخراج.

وعلى المستوى الأمني؛ انتشر الاستقرار، وسـاد الأمـن؛ حتى كان الشيء يسقط عن الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها[2].

توفي زياد في رمـضان مـن سـنة (٥٣هــ)، بعـد أن قـدّم تجربتـه في محاربـة الخـوارج، والقائمـة عـلى الـشدّة والحـزم، واسـتخدام أسـاليب متنوعـة في محـاربتهم (بعـضها اسـتعملها معاوية والمغيرة)، مثل: إشراك القبائل، وتهديدها بقطع العطاء عنها إن لم تردع أبناءها الخارجين، وغير ذلك.

المراجع:

١ - الإمام ابن جريـر الطـبري، «تـاريخ الرسـل والملـوك»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (١٩٦٣).

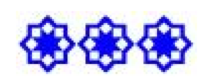
٢ - الحـافظ ابـن كثـير، «البدايـة والنهايـة»، طبعـة مؤسـسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

٣ - ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

٤ - الإمام الذهبي، «سيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية.

٥ - د. نـايف معـروف، «الخـوارج في العـصر الأمـوي: نـشأتهم، تـاريخهم، عقائـدهم، أدبهـم»، دار الطليعـة للطباعـة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٦ - د. لطيفة البكّاي، «حركـة الخـوارج: نـشأتها وتطورهـا إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)»، دار الطليعـة للطباعـة والنـشر، بـيروت، الطبعـة الثانيـة، (أيـار-مـايو، ٢٠٠٧م).



(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٦).

(٢) المصدر السابق.





مظلومية أهل السنة في إيران (٣)
المظلومية الاقتصادية

ماجد العباسي - كاتب من عرب فارس

خاص بـ «الراصد».

كما هو معلوم لدى الجميع: أن إيران من أغنى دول العالم من حيث الخيرات والثروات الأرضية، وأهل السنة في إيران يقطنون أكثر من (٧٠%) من المناطق الحدودية الغنية بالثروات النفطية والغازية وسائر الخيرات الأرضية؛ كمدينة العسلوية السنية العربية؛ التي فيها أكبر احتياطي غاز في العالم، إضافة إلى الحقول النفطية والغازية الموجودة في مدينة بندر عباس وجزيرة قشم.

كما توجد أكبر موانئ تجارية واقتصادية للبلد والجمارك والطرق التجارية البحرية في المدن والمناطق السنية؛ كميناء رجائي، وميناء باهنر في مدينة بندر عباس، ومعظم المدن والأسواق الحرة الاقتصادية -أيضًا- تقع في المدن السنية؛ كالأسواق الحرة في جزيرتي قشم وكيش، ومدينة جابهار في إقليم بلوشستان.

الإضعاف الاقتصادي والحرمان من الوظائف:

رغم وجود تلك الثروات الهائلة في مناطق السنة، فإن السنة في إيران يعانون اضطهادًا وتمييزًا اقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، مما أدى إلى ارتفاع عدد العاطلين عن العمل؛ وبالتالي انتشار الفقر، وإدمان المخدرات، وارتفاع معدل الجريمة؛ حتى ضاقت السجون بالمحكومين، مما يضطر معظم شباب السنة إلى أن يعمل في مجال تهريب البضائع على الحدود مع العراق وباكستان وأفغانستان، وعن طريق البحر مع دول الخليج، وجُلّ تلك البضائع هي مواد غذائية وملابس، وما شابه ذلك.

وهذا العمل لا يخلو من المغامرات والمخاطرات؛ لأنه يعتبر عملًا محظورًا وغير شرعي لدى الدولة، وبالتالي فإن الشاب السني يعرض نفسه لمخاطر عديدة؛ كالقتل والسجن، والإهانة والتعذيب من قبل الأمن والسلطات، حتى يحصل على لقمة العيش.

وفي عهد أحمدي نجاد أصبح رجال الأمن يطلقون النار مباشرة على العاملين في تهريب البضائع، ولأن جُلّ أصحاب هذا العمل من شباب السنة فالجنود لا يبالون باستهدافهم؛ لأنهم لا يخافون من المساءلة والمعاقبة! مما أدى إلى مقتل العشرات، بل المئات منهم في المناطق الحدودية السنية فقط؛ كإقليم كردستان والمدن السنية الساحلية الجنوبية؛ كمدينة لنجة وخمير وجزيرة قشم، وإقليم بلوشستان وغيرها، بحسب شهود عيان وحسب البيانات الصادرة من منظمة حقوق الإنسان الإيرانية (هرانا)، ومنظمات حقوقية أخرى.

وبما أن السنة هم سكان الشريط الساحلي الذي تقع فيه الموانئ؛ فقد عمد النظام الإيراني إلى فرض ضرائب باهظة على أهل المنطقة من أهل السنة، وفي مقابل ذلك وضعت تسهيلات كثيرة للشيعة لجلبهم إلى مدن الموانئ التجارية والاستحواذ على جميع الغرف التجارية فيها، وهذا الاستيطان جعل أهل السنة تحت رحمة هؤلاء المستوطنين الشيعة، إذ كل الأمور الإدارية هي بتصرفهم؛ وفقًا للصلاحيات التي أعطيت لهم من قبل الحكومة.

ونجح هذا المخطط التآمري في تغيير التوازن السكاني في كثير من المدن الساحلية في المحافظات الجنوبية الساحلية؛ كمدينة لنجة وبندر عباس وعسلوية وكنكون وقابندية وجزيرة

قشم [جسم] وجزيرة كيش [قيس] وجزيرة خارك، وغيرها.

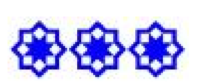
كما دأبت حكومة الملالي على حرمان أهل السنة ومناطقهم من تواجد كافة أنواع المصانع والصناعات الثقيلة والخفيفة، كما تعرضوا للحرمان من الحصول على تراخيص للبناء أو المساهمة في مصانع أو شركات وطنية كبيرة، حتى وإن وجدت في مناطق السنة فإن الشيعة يتملكونها في الغالب.

بل حتى إن المدن السنية الساحلية حرم معظم أهلها من الحصول على ترخيص مصانع لتعليب السمك أو شركات لصيده، وكل الثروة السمكية تذهب إلى المدن الرئيسة التي يقطنها الشيعة؛ كطهران وأصفهان وغيرهما، في حين تجد أن أقرب المدن السنية إلى الساحل تعاني من قلة توفر الأسماك في أسواقها، وأهلها يخشون من معاقبة الحكومة لهم إذا قُبِضَ عليهم متلبّسين بتهمة صيد السمك!!

يُمارَس كل هذا الظلم والتهميش في حق أبناء السنة في موطنهم الأصلي، ومناطقهم التي عاشوا فيها أبًا عن جد طيلة القرون الماضية، ويُحرَمون فيها من العمل في المصانع والموانئ والحقول النفطية، والشيعي يُؤتى به من أقصى البلاد ويتملك من أراضي السنة، ويشغل الوظائف والمناصب العليا، ويعيش بين السنة كأنه سيدهم وهم عماله! في ظل عدلِ (ولاية الفقيه)!!

وبشكل عام، وبعد مضيّ قرابة أربعة عقود من (الثورة الإسلامية) كما يسمونها! نلاحظ تفشي الفقر والبطالة في جميع أنحاء البلاد؛ لا سيما في مناطق السنة.

كما أن معظم القوميات السنية في إيران؛ كالبلوش والأكراد والتركمان والعرب محرومون من إدارة مناطقهم، وتولّي الوظائف الحكومية؛ حيث إن أكثر من (٩٠%) من وظائف الدولة في مناطقهم يستولي عليها الشيعة؛ من الفرس والأذريين واللور وبقية القوميات.



الطلاب الدارسون في إيران ..
مخططات «النفوذ الناعم» لنشر التشيّع عبر العالم

شريف عبد الحميد - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

بعد قيام الثورة الإيرانية عام (١٩٧٩م) أضحى الهاجس الأول المُسيطر على نظام الملالي الحاكم في طهران هو: «تصدير الثورة» إلى العالمين العربي والإسلامي؛ لكي يجري إسقاط الأنظمة الحاكمة في هذين العالمين، وبالتالي تصبح الأنظمة الجديدة -المُفترضة- بمثابة «رديف سياسي» لهذا النظام!

وسَعت إيران إلى محاولة التمدّد سياسيًّا وثقافيًّا؛ من خلال تدابير مختلفة، على رأسها: «النفوذ الناعم»، المتمثّل في: إنشاء جيوب شيعية عبر بلدان آسيا وأفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط؛ من خلال استقطاب عشرات الآلاف من الطلاب العرب والمسلمين من مواطني هذه البلدان للدراسة في المؤسسات الإيرانية التعليمية، ضمن مساعٍ حثيثة للسيطرة على عقول الأجيال الجديدة من الشباب، وفي إطار استراتيجية كبرى لنشر التشيّع عبر العالم.

يقول الباحث السيد أبو داود أن: «نظام الملالي يستهدف استقدام الطلاب العرب والمسلمين للدراسة في الجامعات الإيرانية؛ وخاصةً في جامعتي (المصطفى والخوميني)، حيث يتم إخضاع هؤلاء الطلبة لعمليات تشييع واسعة النطاق؛ من خلال تنظيم دورات في الفكر الشيعي، يكون لزامًا عليهم الانتساب لها، من أجل منحهم شهادات التخرج.

فضلًا عن مساعدة الفقراء منهم ماديًّا؛ لكسب تعاطفهم مع هذا الفكر، ومن ثم مع الدولة الإيرانية، لكي يصبحوا لقمة سائغة في أيدي النظام، يحركهم كيفما شاء بعد عودتهم إلى بلادهم لخدمة أهدافه في مواجهة الأعداء العرب!»[1].

(١) السيد أبو داود، «تصاعد المد الإيراني في العالم العربي» منشورات دار «العبيكان =

التبشير الشيعي في أفريقيا وآسيا:

يقول خبراء في الشأن الإيراني: إن إيران تنتهج سياسة جريئة في مشروعها لنشر التشيّع في أفريقيا؛ حيث فتحت كافة جامعاتها ومؤسساتها للطلاب والطالبات -ذكورًا وإناثًا-، واستقبلت العشرات من العلماء الأفارقة ودعمتهم، في إطار مساعٍ حثيثة لتشييع أكثر من (١٠) ملايين شخص في الدول الأفريقية؛ عن طريق المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الإيرانية؛ التي تمددت في القارة السمراء، إثر خروج المؤسسات الخيرية الخليجية من أفريقيا بعد أحداث (١١ سبتمبر ٢٠١١) في الولايات المتحدة[1].

ومنذ نحو عام، وتحديدًا في (مايو ٢٠١٦) أطلقت إيران مشروعًا هو الأخطر من نوعه لنشر التشيّع في (٣٠) دولة أفريقية، كجزء من استراتيجية يتبناها النظام الحاكم في طهران؛ للسيطرة على مُقدرات الشعوب العربية والإسلامية، ضمن المد الشيعي الذي يسعى «الملالي» إلى دعمه بكل السبل؛ من خلال استقطاب مئات الآلاف من الطلاب للدراسة فيما يسمى: «الحوزات العلمية» في كل من مدينتي: (قُم ومشهد)، فضلًا عن الجامعات الإيرانية المختلفة، واستخدام هؤلاء الطلبة لأهداف سياسية محضة، كـ «حصان طروادة» لنشر التشيّع، وإيجاد أجيال جديدة من الطلاب المرتبطين روحيًا وثقافيًا بنظام «الملالي»، من الممكن استخدامهم فيما بعد كـ «طابور ثقافي خامس»، أي: بمثابة «جواسيس ثقافيين» لهذا النظام.

وعن النشاط «التبشيري الشيعي» المستمر منذ عدة عقود في أفريقيا وآسيا، يقول الباحث إبراهيم منشاوي: «تسعى إيران إلى توظيف قوّتها الناعمة في تحقيق أهداف سياستها الخارجية؛ وخاصة تلك القائمة على أساس ديني، وذلك بالعمل على نشر مذهبها الشيعي القائم على أساس (ولاية الفقيه)، والإعلاء من الحوزة العلمية لديها في قم الإيرانية؛ من أجل جذب المزيد من الطلاب المريدين، وتخريج الأئمة الموالين لها، والذين يعملون كسفراء لقوتها الناعمة، ينشرون رسائل إيران الدينية والثورية والإعلامية والثقافية والسياسية.

يضيف الباحث: «وتركز قوة إيران الناعمة، والقائمة على أساس ديني: على منطقة الخليج العربي والمنطقتين العربية والأفريقية.

وهي في ذلك تعتمد على مجموعة من الأدوات تأتي ضمن النشاط الثقافي والتعليمي والإعلامي الإيراني، وهو يشمل:

- **نشر الكتب التي تدعو للتشيع علانيةً، وإنشاء مكتبات ودور نشر متخصصة لهذا الغرض**، والمشاركة الدائمة للمكتبات الشيعية في معارض الكتب الدولية المقامة في دول المنطقة، ونشر أفكار الشيعة وكتبهم بين هذه الشعوب، وتوزيع عدد كبير من هذه الكتب مجانًا؛ كنشاط مرافق لهذه المعارض، والعمل على طرح منتجات بأسماء إسلامية.
- **إنشاء مراكز ثقافية شيعية تحت مسميات مختلفة**، ومن ثم إصدار المنشورات والصحف والبيانات منها، وتبني العديد من الفعاليات والأنشطة الثقافية المجتمعية.
- **تقديم المنح الدراسية للطلاب لتشييعهم**، وتشجيع البعثات العلمية والزيارات الأكاديمية إلى إيران، وتسهيل كل ما يتعلق بذلك.
- **استغلال القنوات الفضائية الشيعية الكثيرة**؛ لنشر المذهب الشيعي، والدعوة لاعتناقه ببرامج ووسائل متعددة.
- **تفعيل دور السفارات الإيرانية في دول المنطقة**؛ من خلال إقامة الفعاليات الثقافية، والندوات العلمية، وإنشاء المُلحقيات الثقافية والمكتبات العامة المليئة بالكتب الشيعية، ودعم الجمعيات والملتقيات والمراكز الثقافية، وحضور احتفالاتها.
- **استغلال شبكة الإنترنت**؛ وخاصةً مواقع التواصل

= للنشر» الرياض، السعودية، الطبعة الأولى (٢٠١٤)، (ص١٨٠-١٨١).

(١) محمد مجيد الأحوازي، «إيران تطلق أكبر مشروع لنشر التشيع في أفريقيا». موقع «عربي ٢١»: https://goo.gl/jb٠zSg

الاجتماعي، في نشر فكر التشيّع وتجنيد الأتباع.

● **الاحتفال بالأعياد والمآتم الشيعية المختلفة في دول المنطقة،** كل بلد بحسب السيطرة والقدرة فيه، مع ما يرافق ذلك من ندوات ولقاءات ومحاضرات، يتم فيها شرح ما وقع في هذه المناسبة، وسبب الاحتفال بها، وسرد «المآثر» والقصص وغيرها».

ووفق الباحث: استخدمت طهران هذه الإستراتيجية في اليمن؛ من خلال مجموعة من الأدوات للتغلغل في الشأن اليمني، ونشر مذهبها في المناطق الشيعية في اليمن.

○ وقد كان أبرز ما اعتمدت عليه طهران في هذا الصدد ما يلي:

١ - البعثات الطلابية:

حيث دأبت إيران منذ استقبال بدر الدين الحوثي -ومن بعده حسين الحوثي في طهران- على تقديم عدد من البعثات العلمية لعدد من الطلبة اليمنيين الذين ينتمون إلى «الحركة الحوثية» للدراسة في مدينة «قم» الإيرانية، حيث تم إرسال الطلاب الشيعة من أبناء مشايخ القبائل ومن حملة الشهادات الثانوية في بعثات علمية على حساب السفارة الإيرانية إلى إيران؛ للدراسة في الحوزات العلمية في طهران لمدة (٤) سنوات؛ لدراسة العقائد «الاثنى عشرية»، ونظريات الثورة الإيرانية.

كما أخذت السفارة الإيرانية عشرات الطلاب في المرحلتين المتوسطة والثانوية إلى مراكز علمية جعفرية في صنعاء وصعدة؛ لتلقي دورات علمية تتراوح بين (٦) أشهر وعامين، وبدعم كامل من السفارة الإيرانية؛ من أجل تعليمهم وتأهيلهم ليصبحوا دعاةً في المناطق الشيعية اليمنية المختلفة.

وقد صاحب ذلك الأمر ظاهرة أخرى: تتمثل في تدفق العديد من الطلاب اليمنيين إلى إيران للتعلم، ولكن خارج أطر الابتعاث الرسمية، حيث تتكفل إيران بجميع تكاليف الإقامة والدراسة.

○ وتهدف إيران من وراء هذه العملية إلى:

■ **تجنيد هؤلاء الطلاب للعمل لصالحها في اليمن؛** من أجل دعم «الحركة الحوثية» وبعض الأحزاب السياسية الشيعية اليمنية.

■ **تشييع الطلاب بالمذهب «الاثنى عشري»؛** من أجل العمل على نشره في اليمن، وإكسابهم المهارات الكافية لكي يكونوا دعاةً أو أئمةً يدعون إلى هذا المذهب.

■ **إكسابهم المهارات القتالية اللازمة؛** من أجل مساعدة العناصر الموالية لها في اليمن، حيث كشفت بعض التقارير عن أن هؤلاء الطلاب تم استقبالهم من قيادات في «الحرس الثوري» الإيراني، ومن ثم جرى توزيعهم على (٣) معسكرات تابعة للحرس في ثلاث مدن إيرانية، وهي: شيراز ومشهد وأصفهان، وهي مدن استحدث فيها الحرس معسكرات تدريبية لإعداد المقاتلين في صفوف الحرس الثوري، وحزب الله اللبناني، وعدد من دول القارة الأفريقية.

٢ - إنشاء المدارس والحسينيات الشيعية:

وهي وسيلة أخرى تسعى من خلالها إيران لنشر المذهب الجعفري في اليمن، وفي هذا الإطار أنشأت «الحركة الحوثية» وشيعة اليمن عددًا من المدارس بدعم إيراني، منها:

- **«دار العلوم العليا»:** وتم بناؤها على نفقة إيران، ويصل الطلاب فيها إلى (١٥٠٠) طالب.

- **«المدرسة الجعفرية»:** تعتبر هذه المدرسة -ومقرها عدن- اللجنة التبليغية لجمعية الشيعة «الاثني عشرية»، ويديرها عبد الكريم علي عبد الكريم، وهي تنضوي تحت كيان مؤسسي يعتبر الأقدم على الإطلاق في اليمن.

- **«دار أحباب أهل البيت»:** وهي مركز ثقافي في محافظة تعز، يديره أبو حسين علي الشامي، وهي أول دار في هذه المحافظة.

- **«مؤسسة دار الزهراء» للإعلام الثقافي:** مؤسسة شيعية في صنعاء، ويديرها محمد الحاتمي.

- «**مركز بدر العلمي**»: مقره صنعاء، وكان يديره الدكتور مرتضى زيد المحطوري، ويقوم المركز بتدريس علوم المذهب الزيدي، كما يضم مكتبة عامة كبيرة.

- «**مركز الدراسات الإسلامية**»: ومقره صنعاء أيضًا، ويرأسه إبراهيم بن محمد الوزير، وتصدر عنه جريدة «البلاغ» الأسبوعية التي يرأس تحريرها عبد الله بن إبراهيم الوزير -نجل رئيس المركز-.

- «**مدرسة الهادي**»: وتعد المركز الرئيس لانطلاق «الدعوة الحوثية»، وتقع في قمة جبل مران بمحافظة صعدة.

- «**مركز ضحيان**»: ويقع في محافظة صعدة أيضًا، وقد قام بافتتاحه السفير الإيراني في صنعاء.

- «**مركز الثقلين**»: مقره صنعاء، ويشرف عليه شيعي عراقي، إضافةً إلى شيعي يمني درس في مدينة قم الإيرانية يدعى: إسماعيل الشامي، ويمارس المركز مختلف الأنشطة، ويدعو أهالي المنطقة إلى ممارسة عقائد الشيعة[1].

وتوجهت طهران -بشكلٍ خاص- إلى أطراف العالم الإسلامي؛ لاسيما إلى إندونيسيا، باعتباره البلد الأكبر من حيث الكثافة السكانية بين الدول الإسلامية، حيث يبلغ عدد سكانها (٢٥٠) مليون نسمة، (٨٦%) منهم من أهل السنة، فعمدت إيران إلى إرسال الدعاة الشيعة إلى مناطق لامبونج، وبسولاويسي جنوب الشرقية، وبونجيت جاكرتا، وبينجكولو، وسومطرة الجنوبية، والشمالية، وكاليمانتان الغربية، وغيرها.

كما عمدت لابتعاث الطلبة الإندونيسيين إلى إيران؛ لتغيير قناعاتهم السنية، ونشر الكتب التي تروج للمذهب الشيعي مثل: كتاب «المراجعات»؛ الذي طبع منه أكثر من مليون نسخة باللغة الإندونيسية، مع الانتشار المقنن في جامعات مختلفة مثل: «الجامعة الإسلامية الحكومية، وجامعة المحمدية، وجامعة مالاحياتي باندر لامبونج، وجامعة (١٩) نوفمبر»، وسواها.

ويتولى حسين الحبشي -مدير معهد التربية الإسلامية في جزيرة «جاواه الشرقية»- نشر الأفكار الشيعية منذ قيام الثورة الإيرانية في (١٩٧٩)، تحت شعار «الوحدة بين المسلمين»، ثم بدأ «الحبشي» في عقد الثمانينيات يرسل عددًا من طلابه إلى إيران، ليدرسوا في حوزة «قم».

وبعودة أولئك الطلاب من إيران فإنهم يصبحون أبواقًا للشيعة في إندونيسيا بأنشطتهم المتنوعة، فعلى الصعيد السياسي: يتوغلون في الأحزاب؛ سواء الأحزاب الإسلامية أو العلمانية، وعلى الصعيد التربوي: يفتتحون المدارس بدءًا من رياض الأطفال إلى المرحلة الجامعية، وعلى الصعيد الدعوي: ينشطون في المحاضرات والندوات واللقاءات؛ سواء عن طريق الدروس أو التجمعات أو القنوات أو مواقع الإنترنت، وغيرها من الوسائل[2].

وفي (فبراير ٢٠١٦) حذّر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب من خطر التشيع في إندونيسيا، ولم يتوانَ الطيب خلال زيارته لهذه الدولة عن دعوة الشباب الإندونيسي السني إلى «التمسك بعقيدة جمهور أهل السنة والجماعة، وعدم الانجراف إلى دعوات الفرقة والتعصب المذهبي المذموم»[3].

من جهة أخرى؛ يقول الباحث بخاري مردابي موسى: «تشهد جمهورية جزر القمر في السنوات الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا للنفوذ الإيراني وللتمدد الشيعي، بصورة متسارعة وملفتة، شأنها في ذلك شأن سائر حركات التشيع والحملات الصفوية المنتشرة في الدول الإسلامية بصفة عامة، وفي القارة الإفريقية بصفة خاصة.

---

(١) إبراهيم منشاوي «النفوذ الناعم: البعد الديني في السياسة الخارجية الإيرانية والحركة الحوثية في اليمن». موقع «المركز العربي للبحوث والدراسات»: https://goo.gl/ldDd١k

(٢) «التشيّع في إندونيسيا» موقع «مجلة البيان»: https://goo.gl/nWS٧RL

(٣) الأزهر يحذر من خطر التشيّع في إندونيسيا. موقع «الشرق الأوسط»: https://goo.gl/MMkBij

ومنذ انطلاقة الثورة الإيرانية وهي تحاول مد النفوذ الشيعي خارج أراضيها؛ وإن تغيرت أساليبها لتحقيق ذلك، من الشكل الصريح لنموذج تصدير الثورة، إلى التغلغل في صورة منظمات خيرية، ومؤسسات اجتماعية، مرورًا بالكتب والمنشورات، حيث شرعت إيران في السعي لتحقيق العديد من الأهداف، وفي مجالات متعددة، وهذا ما يجري في جزر القمر؛ فحركة التشيع في الجزر قد بدأت تأخذ زخمًا متزايدًا خلال الفترة الأخيرة».

ويضيف موسى أنه: «منذ تولي عبد الله سامبي - المتهم بالتشيع منذ أن كان طالبًا في إيران - رئاسة الجمهورية في عام (٢٠٠٦) أخذ التوجه نحو التشيع لدى أبناء جزر القمر في التنامي بصورة مرحلية وممنهجة، بل ومؤسسية، وعبر آليات ووسائل متنوعة ومتعددة، تحت ما يسمى بـ (تصدير الثورة)، مما شكل نقطة مفصلية في تاريخ جزر القمر».

ويتابع الباحث: «ولا شك أن التغلغل الإيراني في جزر القمر وسعيها الحثيث لتشييع مواطنيها قد حقق نجاحات لا بأس بها نسبيًّا؛ وذلك يرجع إلى عدة عوامل، من أهمها:

١ - الطلاب القمريون الذين يدرسون في مدغشقر وكينيا؛ حيث يتم تشييعهم من قبل السفارات الإيرانية ومراكزها الثقافية الموجودة في هذين البلدين؛ وذلك من خلال استغلال خبيث لظروف الطلاب المعيشية وظروف الغربة، وقد ثبت من خلال المتابعة والرصد: أن معظم المتشيعين في جزر القمر تشيعوا في مدغشقر؛ حيث يوجد فيها وفي كينيا مراكز وهيئات إيرانية لأجل تشييع شرق إفريقيا والقرن الإفريقي.

٢ - المنح الإيرانية الدراسية المجانية للجنسين؛ التي فتحت على مصراعيها في الدولة الصفوية، أو بمراكزها التعليمية في كينيا، حيث «معهد الرسول الأكرم»؛ الذي أسسه الإيرانيون، أو غيره من المراكز الأخرى في بعض الدول الإفريقية، ليعودوا غدًا على نهج الرئيس السابق.

وهناك خلايا تنشط في استقطاب الطلاب لهذا الغرض، ويوجد في إيران حاليًّا المئات من الطلاب يواصلون دراستهم في جامعة «قم» الإيرانية.

٣ - تولي الرئيس سامبي - المتشيّع والموالي لإيران - منصب الرئاسة في بلاده، فحرص على تقوية علاقات بلاده بإيران، ففي (يونيو ٢٠٠٨) زار «سامبي» إيران على رأس وفد اقتصادي - سياسي رفيع المستوى، وأكد على ضرورة الاستفادة من تجارب الخبراء الإيرانيين في تنمية بلاده، حيث تم استثمار هذا الحدث من قبل إيران والشيعة في تحقيق وجودهم في جزر القمر؛ من خلال تكثيف نشاطاتهم الدعوية والتبشيرية بصورة ملفتة؛ كمًّا ونوعًا»[1].

وفي إطار مساعي الاستقطاب هذه: تقدم إيران ما يمكن اعتباره «إغراءات دراسية» للطلبة، ففي (سبتمبر ٢٠١٣) وافقت «جامعة طهران» التي تُعد من بين أفضل (٥٠٠) جامعة في العالم، على قبول الطلاب المصريين الحاصلين على الثانوية العامة المصرية بمجاميع منخفضة في كلياتها، حيث قبلت الجامعة في تلك السنة أول دفعة من الحاصلين على الثانوية شعبة «العلمي علوم» في كليات «الطب البشرى» بنسبة (٧٥٪)، و«طب الأسنان و«الصيدلة» بنسبة (٧٠٪).

في حين أن مثل هذه المجاميع لم تكن تؤهل أصحابها في تلك السنة الدراسية للالتحاق بكليات أدنى في سلّم الدراسة الجامعية، مثل: كليات «التجارة أو الآداب»[2]!

وتحكي الطالبة المصرية ميار حمدي عن تجربتها في هذا الصدد، قائلةً: «كنت أعمل مندوبة مبيعات بشركة خاصة، بعد أن تركت كلية التجارة بسبب ظروفي المادية الصعبة، وكنت

(١) بخاري مردابي موسى «المد الشيعي في جزر القمر... دلالات وأبعاد». موقع «الراصد»: https://goo.gl/spQWCI

(٢) عصام عبد الجواد «طهران تستقطب الطلاب المصريين بتخفيض نسب القبول». موقع «روز اليوسف»: https://goo.gl/nID٦PI

أساعد أسرتي في تكاليف المعيشة، وأستغل فترة الليل في تسويق المنتجات عبر الإنترنت (..).

وفي يومٍ ما قمت ببيع منتج إلى شخص يدعى الشيخ محمود العقيلي العراقي، ومع الوقت تعارفنا أكثر حتى أصبحنا أصدقاء، إلى أن جاء مصر، وقمتُ بمقابلته بناء على طلبه، وكان يأخذ جميع المنتجات التي معي بسعر يتجاوز سعرها الأساسي بكثير، وعندما سألته عن سبب ذلك، قال: إنه عضو في جمعية (الإمام الفاطمية) التي تقوم بمساعدة الفقراء، فتشيّعت، وأصبحت عضوًا في الجمعية».

وتضيف ميار: «ظللت أعمل لمدة سنة بالجمعية، حتى عرض على الشيخ العقيلي السفر إلى العراق، وبالفعل سافرت، وتعلمت في الحوزة العلمية بمدينة كربلاء، ثم التحقتُ بجامعة المصطفى في إيران لدراسة فقه وأصول الدين، ووجدت ما يقرب من (١٥٠) فتاة مصرية يدرسن معي بالجامعة، وتعارفنا هناك، وجميعهن تلقّين مساعدات بنفس الطريقة، وتم إعلان تشيّعهن أيضًا»[1].

○ المؤسسات التعليمية الناشطة في مجال التشييع:

لا تجري عملية استقطاب الطلاب للدراسة اعتباطيًّا! فثمة جهات راعية ومؤسسات وقوانين إيرانية تنظّم ذلك، ويُعد ما يُسمى: «المجمع العالمي لآل البيت» الذي يتبع المرشد الأعلى علي خامنئي مباشرةً، والذي تأسس عام (١٩٩٠) بمثابة «الدينامو الإيراني» لنشر التشيع عبر التعليم في دول العالمين العربي والإسلامي، وفق هدف مُعلن هو: «نشر معارف أهل البيت، وترسيخ الوحدة الإسلامية، والعمل على اكتشاف وتنظيم وتعليم ودعم أتباع العترة الطاهرة عليهم السلام».

وهو ما يعني -بكلمات أخرى-: نشر التشيّع، وتغذية ودعم المد الشيعي بكافة الطرق الممكنة.

وحسب الباحثين: فإن «المجمع أشبه ما يكون بشبكة دولية، أو بالأحرى (دولة شيعية مُصغّرة) هدفها: وضع مشاريع وخطط دورية لنشر التشيع في العالم، تشرف على تنفيذها شخصيات رفيعة المستوى من النخب والرموز الشيعية حول العالم.

ولعل البند الرابع في بيان المجمع عن أهداف التأسيس يكشف الكثير من آلية عمله، واعتماده ميزانيات ضخمة لتجنيد العملاء والأتباع؛ حيث ينص هذا البند على (مكافحة الفقر والجوع، والمحاولة لإيجاد السلام الدولي، وتوسعة الأسس المادية والمعنوية لأتباع أهل البيت في العالم، والمساعدة على نمو وإصلاح الوضع الفكري والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لأتباع أهل البيت)».

وتتم تحركات ونشاطات المجمع في دول العالم الإسلامي تحت غطاء: «تحقيق الوحدة الإسلامية»، وهو الشعار الذي قد لا يخلو منه أي من بياناته، لكن المتابع لأنشطة المجمع لا يجد عناءً في اكتشاف اصطفاف هذه المنظمة -قلبًا وقالبًا- خلف «مصالح إيران» وحدها في المنطقة والعالم!

ويتكوّن المجمع من هيئات وأذرع مختلفة، تتنوع أنشطتها المعلنة بين: طرح ومناقشة البرامج، ووضع الأهداف وآليات العمل، والخطط الثقافية لاستقطاب الطلاب من مختلف الدول حول العالم للدراسة في إيران؛ لدفع «المشروع الشيعي» قُدمًا إلى الأمام.

ويترأس المجمع محسن مجتهد شبستري -المرجع الشيعي المعروف-، وهو يتكون من (٢٥) عضوًا من دول مختلفة، غالبيتهم من إيران، وبعضهم من العراق ولبنان والسعودية والبحرين، ودول إفريقيا، ومن ضمنهم: حسن نصر الله -أمين عام «حزب الله» اللبناني-، والكويتي حسين المعتوق، والبحريني عيسى قاسم، وسيد مرتضى، عن قارة أفريقيا.

ويُذكر أن هناك زيادة كبيرة في أعداد الطلاب اليمنيين الدارسين في إيران بعد عام (٢٠١١)، وأن عددًا منهم شارك في عملية اقتحام السفارة السعودية، بعد أن أُخضِعوا لعمليات

(١) بسمة محمد «مفاجأة.. إيران تستقطب (١٥٠) مصرية لدراسة الفقه الشيعي بطهران». موقع «الصباح»: https://goo.gl/١٠YwnU

«غسيل مخ» طائفية، دشنوا على إثرها حملة تحت عنوان: «يمني هستم (أنا يمني) في إيران، جمعوا خلالها التبرعات لـ «الحوثيين»، وشاركوا في نشاطات سياسية في الخارج، كما أن بعضًا منهم أصبح جزءًا من قوات التعبئة الإيرانية «الباسيج».

ولهذا السبب أصدرت وزارة التربية والتعليم اليمنية في (يناير) الماضي قرارًا بوقف البعثات الدراسية إلى إيران، وعدم اعتماد الشهادات التي تُمنح من قبل المتمردين «الحوثيين».

وقال عبد الله لملس -وزير التربية والتعليم اليمني- أن: «الوزارة قررت وقف المبتعثين للدراسة في إيران، نظير ما يتلقونه من أفكار هدامة، تكرس مفاهيم المذهبية والطائفية»، مشيرًا إلى وجود أكثر من (٧) آلاف طالب يمني يتلقون تعليمهم في مدينة «قم» الإيرانية حاليًّا.

وأكد نبيل البكيري -الباحث اليمني المتخصص في شؤون الجماعات الإرهابية- أن: «ما يجري لهؤلاء الطلاب ليس سوى استكمال لمسلسل الاستراتيجية الإيرانية في تفتيت النسيج العربي طائفيًّا؛ من خلال التعبئة الطائفية التي تفتت المجتمع العربي الواحد».

وأضاف البكيري: «لو كان هناك نية حقيقية لدى الإيرانيين في دعم العرب واليمنيين؛ لتمّ استيعاب هؤلاء الطلاب في الكليات والمعاهد العلمية، لكن للأسف فالهدف ليس هذا وإنما: تفكيك المجتمع العربي مذهبيًّا»[١].

وفي (إبريل) الماضي أعلن حسين سالار آملي -نائب وزير العلوم الإيراني للشؤون الدولية-: أن (٥٢) ألف طالب جامعي أجنبي يدرسون في الجامعات الإيرانية في الوقت الحاضر، موضحًا أن نحو (٢٣) ألفًا من هؤلاء الطلبة الجامعيين يدرسون في جامعات تابعة لوزارة العلوم، فيما يدرس البقية في جامعة «المصطفى»، والجامعة الإسلامية الحرة «آزاد»، وجامعات وزارة الصحة والعلاج والتعليم الطبي[٢].

ويؤكد متخصصون في الشأن الإيراني: أن الصراع بين إيران والدول العربية ليس صراعًا عسكريًّا وجغرافيًّا وأمنيًّا فحسب، بل إنه يطال الجانب التربوي والثقافي أيضًا.

ومن ذلك: أن إيران عمدت إلى تشويه منظّم لصورة العرب في المناهج التعليمية التي يتلقاها الطلاب الإيرانيون والوافدون معًا؛ بحيث اختزلت الحضارة العربية من خلال الصراع المذهبي بنظرته الضيقة، مشوهةً التاريخ العربي، ما يُورث الطلاب العرب الدارسين في إيران كراهية لأوطانهم الأصلية، ويُفقدهم انتماءهم الوطني، وهو أمر بالغ الخطورة! ينبغي التنبّه له وإيقاف الابتعاث الدراسي إلى الجامعات الإيرانية فورًا، وقبل فوات الأوان.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة .. من المعارضة إلى السلطة ٥- التجربة الشيعية اليمنية.

بوزيدي يحيى- باحث وكاتب جزائري

خاص بـ «الراصد».

يمثل الحوثيون النسخة اليمنية من التجربة الشيعية السياسية الحديثة، وقد شغلوا حيزًا كبيرًا من النقاش في اليمن خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، بحروبهم الست ضد نظام علي عبد الله صالح؛ التي كانت أحد مظاهر هشاشة الدولة.

وبعد تراجعهم مع بداية الثورة اليمنية في (٢٠١١)، والتي بشّرت بمرحلة جديدة أساسها: إدارة الخلافات بالآليات السلمية في مجتمع غلبت لغة السلاح على تسوية مشكلاته، وكان انحياز الحوثيين للثورة في بداياتها أحد المؤشرات على هذا التحول، غير أنه

---

(١) (٧) آلاف طالب يمني يتلقون تعليمهم في «قم».. والحكومة توقف الابتعاث إلى إيران. موقع «الناشر»: https://goo.gl/tLQ٢٦i

(٢) (٥٢) ألف طالب جامعي أجنبي في الجامعات الإيرانية. موقع «قناة المنار»: https://goo.gl/I٧QOyY

لم تمضِ إلا فترة قصيرة لتتبدد كل هذه الأحلام والأوهام، وعاد الحوثيون مرة أخرى ليشغلوا الساحة السياسية، بعد سيطرتهم على كل مفاصل الدولة.

ولم يغب البعد الخارجي عن هذه التجربة أيضًا؛ حيث تبرز معالم التأثير الإيراني بأوجه عديدة؛ سواء عقدية أو فكرية أو سياسية وحتى عسكرية، من هنا أخذت هذه التجربة أبعادًا جيوسياسية خاصة مع تماس مناطق الحوثيين مع الحدود السياسية السعودية.

وعند رصد هذه التجربة تكشف مراحل تطورها تأثرها بما كان يحصل في اليمن من تحولات بدرجة كبيرة، إضافة إلى التأثير الخارجي.

وفي هذا الإطار يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

تمتد الأولى: من الثورة اليمنية في (١٩٦٢) إلى الثورة الإيرانية في (١٩٧٩)، حيث كان لسقوط نظام الإمامة تداعيات عميقة على الزيدية مثلّت إرهاصات الظاهرة الحوثية.

والمرحلة الثانية: تمتد من (١٩٧٩) إلى قيام الثورة في (٢٠١١)، وخلالها تطورت الجماعة سياسيًّا وتنظيميًّا وعسكريًّا، وتوج ذلك بسلسلة من الحروب، انتهت سادستها قبل ثورة (٢٠١١).

والمرحلة الأخيرة: ما بعد (٢٠١١)؛ والتي ساهمت في تمدد الحوثيين جغرافيًّا، ومكّنتهم سياسيًّا، على عكس التوقعات التي ذهبت إلى احتمالات احتوائهم في المشروع الوطني؛ باعتبار أن المشكل الأساس كان في نظام علي عبد الله صالح.

وهذا ما يفتح الباب للتساؤل حول تأثير الحوثيين على مستقبل الدولة الوطنية؟!

❑ إرهاصات المشروع الحوثي بين الديني والسياسي:

برز الحوثيون تنظيميًّا على الساحة اليمنية في (١٩٩٢)، مع تأسيس نادي (الشباب المؤمن)، غير أن إرهاصات هذا المشروع بدأت منذ الثورة اليمنية في (١٩٦٢)، مرورًا بالثورة الإيرانية، فسقوط نظام الإمامة لم يكن يعني: اندثارها كفكرة؛ لارتباطها بالعقائد الزيدية[1]، وقد شكلت بذلك أرضية استند عليها الحوثيون، فهم ينتمون إلى تيارات إمامية في اليمن حاربت الثورة اليمنية في (سبتمبر ١٩٦٢) وما بعده؛ بكل ما أوتيت من قوة، ولما رأت أنه لا قدرة لها على العودة باليمنيين إلى الوراء، عادت ولبست القبعة الجمهورية التي تخفي جماجم الإماميين[2].

فالمشروع في الأصل: حركة لإحياء الزيدية السياسية التي تقوم على أحقية الولاية في ما يسمى بـ: «البطنين» (سلالة الحسن والحسين)، لذلك فإن الحركة ترتبط عضويًّا بالمذهب الزيدي[3].

وتحركها يفسره تصورات الجماعة العقائدية بفكرة التمكين الإلهي لاسترداد إرثها التاريخي والديني، وهو: حكم الإمامة لليمن، أو للجزء الشمالي من اليمن منذ القرن السابع عشر حتى قيام ثورة (١٩٦٢م) الجمهورية[4].

تكشف هذه الخلفية كيف ساهمت الأيديولوجية الزيدية في حشد التأييد للمشروع الحوثي بأقانيمها الثلاثة، المتمثلة في:

الحق الأزلي في السلطة السياسية (الرئاسة تحديدًا).

والثاني هو: القول -بلسان الحال-: إن الرجولة الحقيقية

---

(١) واجه رموز الزيدية تحديًا كبيرًا بعد سقوط نظام الإمامة في اليمن سنة (١٩٦٢)، لإيجاد انسجام بين النظام الجديد وبين الفكرة التي تشترط في السلطة (إمامًا) من آل البيت، وعلى إثر ذلك انقسمت الزيدية بين من بدأ بإسقاط شرط الإمامة، وبين من تعامل مع النظام الجمهوري من باب الأمر الواقع، وليس باعتباره حكمًا شرعيًّا.
وظلت صعدة أحد أهم معاقل المذهب، والمساحة الأبرز لتحرك رموز الزيدية السياسية؛ والتي لم يكن بعضها يجاهر بموقفها بالتمسك بالإمامة. ينظر: عادل الأحمدي، «الزيدية السياسية.. ولاية الإمام اليمنية تنسخ الولي الفقيه في إيران». «يمن برس»: http://yemen-press.com/news٥١٦٢٤.html

(٢) محمد جميح، «الحوثيون وثورة الشباب». «مأرب برس»:
http://marebpress.net/articles.php?id=١١٢٦٣&lng=arabic

(٣) عبد الناصر المودع، «مستقبل الحركة الحوثية»، مجلة سياسات عربية، العدد (١٤)، (ماي ٢٠١٥)، (ص١١٠).

(٤) ميساء شجاع الدين، «الحوثيون وإيران: تحالفات السياسة وتوترات المذهب». «أوبن ديمكرسي»:
https://www.opendemocracy.net/north-africa-west-asia/maysaa-shuja-al-deen/yemen-iran-houthis-war

والرجال الحقيقيين هم: أبناء هذه المناطق، ولذا فإن أغلبيتهم تـأنف ممارسة بعض الأعمال ذات الطابع الخدمي.

والثالث: يتمثل في حرص أبناء هذه المناطق على بقاء التقسيم التراتبي للمجتمع اليمني إلى أعراق وفئات؛ فالناس منقسمون إلى: قبائل وبطون، وهناك داخل القبائل والبطون تقسيم على أساس المهن، وتحول مع الزمن إلى تقسيم عرقي[1].

فبالنسبة لجماعة الحوثي -كوحدة اجتماعية لا تختلف عن النسق الاجتماعي الناظم لأي قبيلة؛ إلا من حيث جمعها إلى جانب الهوية القبلية الهوية الطائفية/المذهبية-، والجديد في «الوثيقة الفكرية والثقافية» هو: توسيع دائرة العصبية الهاشمية، وإنعاشها في ضوء الأمل الذي أعادته لها الهوية الحوثية.

هذا التداعي الذي يستثمر العصبية الهاشمية كنسبٍ والزيدية كمذهبٍ لا يمكن فصله عن الطموح السياسي، مهما اتخذ من عناوين ومسميات![2]

وبذلك؛ فإن المشروع الحوثي يخدم -بشكل أو آخر- سلالة السادة الهاشميين المنحدرين من نسل الحسن والحسين بن علي؛ الذين يشكلون عصب الحركة الحوثية، وأصبحوا يستحوذون على معظم المناصب الحكومية في المناطق التي سيطرت عليها الحركة[3].

❑ الثورة الإيرانية وانطلاقة المشروع الحوثي:

أنتج التفاعل بين«الزيدية السياسية» و«الثورة الإيرانية»: (الظاهرة الحوثية)؛ حيث حدث انتقال من الزيدية إلى الإثني عشرية بواسطة بدر الدين الحوثي؛ خاصة مع عقائدهم الجارودية القريبة من الإثني عشرية، مما سهّل عملية الانتقال تلك، إذ تتكئ جماعة الحوثي في رؤيتها وعقيدتها على مقولات الجارودية وامتدادها في المهدوية، أما في شعاراتها فتأخذ بنصيب وافر من الإسلام السياسي الشيعي الإثني عشري[4].

وقد سهّلت الثورة الإيرانية من عملية التكيّف العقائدي، كونها زودت شيعة العالم الإسلامي بمثال إيجابي؛ وفي الآن ذاته شهد اليمنيون الزيديون بروز جيل جديد من العلماء والمسلحين غير موصوم بإرث الحرب الأهلية[5].

وعمليًّا بدأت السفارة الإيرانية في الثمانينيات بتقديم دعوات لشباب يمني لزيارة إيران والتعرّف على تجربة الثورة الإيرانية، واجتذبت بالفعل الكثير من الشباب الزيدي، أبرزهم: محمد عزان وعبد الكريم جدبان وحسين الحوثي -مؤسّس الحركة الحوثية-، وكذلك زارها بعض علماء الزيدية مثل: بدر الدين الحوثي -والد حسين المؤسّس-، وعبد الملك -القائد الحالي للجماعة-[6].

وبدأ أول تحرك مثمر مدروس في (١٩٨٢) على يد رجل الدين صلاح أحمد فليتة، في محافظة صعدة، والذي أنشأ في (١٩٨٦) «اتحاد الشباب»، وكان من ضمن ما يتم تدريسه: مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، يقوم بتدريسها محمد بدر الدين الحوثي.

وفي (١٩٨٨) تجدّد النشاط بواسطة بعض الرموز الملكية التي نزحت إلى المملكة العربية السعودية عقب ثورة (١٩٦٢)، وعادوا بعد ذلك، ومن أبرزهم: مجد الدين المؤيدي، وبدر الدين الحوثي، ويعد الأخير الزعيم والأب الروحي للحركة الحوثية[7].

---

(١) عصام القيسي، «التجمع اليمني للإصلاح: المشهد الراهن»، مجلة سياسات عربية، العدد (١٤)، (ماي ٢٠١٥)، (ص٩٠).

(٢) عبد الله السالمي، «اليمن وسؤال الهوية الوطنية: قراءة في التدافع الطائفي والقبلي والمناطقي»، موقع «أكديميا»، (ص١٧).

(٣) عبد الناصر المودع،المرجع السابق، (ص١١٠).

(٤) عبد الله السالمي، المرجع السابق، (ص١٥).

(٥) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، تقرير الشرق الأوسط رقم (٨٦)، بتاريخ (٢٧/٥/٢٠٠٩)، (ص١٠).

(٦) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٧) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر: التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد»، (ص١٢٩).

وكانت أهم إشارات الفراق مع الزيدية في التسعينيات عندما عارض الشيخ بدر الدين الحوثي وعلماء دين آخرون من صعدة بيانًا وقّعه علماء دين زيديون مرتبطون بحزب (الحق) يقول بعدم وجوب أن يكون الحاكم أو الإمام هاشميًّا؛ وانشقوا عن الحزب، ومن ثم قام حسين الحوثي وآخرون بتأسيس (الشباب المؤمن)، ساعين لإحياء النشاط الزيدي عن طريق التثقيف والدعوة[1].

ومنذ (١٩٩٨) نجح المذهب الإمامي في توسيع أرضيته في اليمن، مستميلًا أبناء الأسر الكبيرة الذين شكلوا أرضية كبيرة للانطلاق والنشاط؛ الذي بدأه حسين بدر الدين الحوثي في (١٩٩٧)، بإنشاء مراكز دينية في مديرية حيدان، في محافظة صعدة، دون ترخيص قانوني، أطلق عليها اسم: (الحوزة)، ثم امتد نشاطه بإنشاء مراكز مماثلة في بعض المحافظات والمديريات، وقام بتوسيع نشاطه؛ من خلال تلك المراكز[2].

❑ الحوثيون بين السياسة والحرب:

برز الوجود المؤسسي للحوثيين من خلال (منتدى الشباب المؤمن)[3]؛ الذي تأسس في بداية تسعينيات القرن الماضي، والذي كان «النواة الأولى لِـما أصبح لاحقًا يُعرف بـ (الحوثيين)».

وكان من أبرز مؤسسيه: محمد عزان؛ الذي ترك الحركة بعد ذلك إثر خلافات مع حسين بدر الدين الحوثي؛ الذي تسلم بدوره قيادة التنظيم، ووسّع نشاطه ليأخذ طابعًا مسلحًا، وصولًا إلى (٢٠٠٤) لحظة انفجار الحرب الأولى بين الحكومة اليمنية والجماعة[4].

وقد ولج الحوثيون في البداية العمل السياسي؛ إذ ظهرت في الساحة اليمنية بعد إقرار التعددية الحزبية في مطلع التسعينيات أربعة أحزاب شيعية وهي: حزب الثورة الإسلامية، حزب الله، حزب الحق، اتحاد القوى الشعبية اليمنية، وقد توارى الحزبان الأولان (حزب الثورة، حزب الله)، فيما بقي في الساحة حزب الحق واتحاد القوى الشعبية.

وكانت تجربة حزب الحق البرلمانية ضعيفة جدًّا؛ حيث حصل على مقعدين فقط في انتخابات (١٩٩٣)، وفي انتخابات (١٩٩٧ و٢٠٠٣) لم يحصل على أي مقعد، مع تراجع في نسبة التصويت[5].

وبدأ الصعود المتنامي لتنظيم (الشباب المؤمن) بقيادة الحوثي يتم على حساب الحجم السياسي والشعبي لحزب الحق بقيادة المؤيدي، ورجّح من كفة تيار الحوثي استغلاله الدعم الإيراني المخصص لتصدير الثورة إلى اليمن، وكان في بداية الأمر دعمًا فكريًّا أكثر منه ماديًّا، ما أدى إلى معارك فكرية عدة بين الشباب والشيوخ، صدرت خلالها بيانات التبرؤ من (تنظيم

---

(١) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، المرجع السابق، (ص ١٠).

(٢) «القصة الكاملة للحوثي والزيدية في اليمن». «العربية نت»:
http://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٤/٠٧/١٠/٤٩١٧.html

(٣) على أساس هذه التسمية يتم تفريق اليمنيين إلى مسلمين لا يتبعون هذه الحركة، ومؤمنين وهم أتباعها.

يعضد ذلك أنه في الفكر الراديكالي الشيعي لدى الجماعات الأصولية الشيعية -والحوثيون جزء منها- لا بد من التفريق بين المؤمن والمسلم، فقد يكون الإنسان مسلمًا لكنه غير مؤمن، منطلقين من تأويلهم الخاص للآية: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحُجُرات:١٤]، ولذلك تسمّي هذه الجماعات الراديكالية أتباعها: (مؤمنين)؛ لتميزهم عن غيرهم، الذين قد يكونون مسلمين لكنهم غير مؤمنين بالضرورة حسب رؤيتها!

وهذا واضح في طائفة كبيرة من الخطاب الشيعي عند الخميني من المعاصرين، وقبله =

= الشيخ المفيد؛ من الذين جعلوا الإيمان بإمامة ﷺ شرطًا للإيمان. ينظر: محمد جميح، المرجع السابق.

(٤) عادل الأحمدي، «الزيدية السياسية.. ولاية الإمام اليمنية تنسخ الولي الفقيه في إيران»، المرجع السابق.

(٥) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر: التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد»، (ص ١٣٠-١٣٣).

الـشباب المـؤمن)، ومـن أطروحـاتهم الراميـة للانقـلاب عـلى المذهب[1].

ففـي (١٩٩٧) تـم تحويـل الاسـم مـن مدلولـه الثقـافي الفكري، كمنتدى إلى المدلول السياسي؛ حيث أصبح (تنظيم الشباب المؤمن)، وتفرّغ لـه حسين بـدر الـدين عازفًا عـن الترشّـح لمجلس النـواب، تاركًا المقعـد الـذي كـان يـشغله لأخيـه يحيى بـدر الدين الحوثي.

وبـرز بـدر الـدين الحـوثي كمرجعيـة عليـا للتنظـيم، وتـم إقـصاء المؤيـدي وفليتـة، وحـدثت عـلى إثـر ذلـك خـصومات واتهامات وتبرؤات بين كـلا الطـرفين، اتهمـت فيهـا جماعـة المؤيـدي تنظيم (الشباب المؤمن) بـالانقلاب على مبادئ الزيدية، فـيما كـان الأخـيرون يتهمـون جماعـة المؤيـدي بـالتحجر والجمـود، والميـل للأفكار (الشوكانية)[2].

قـادت هـذه التطـورات إلى ابتعـاد الحـوثيين عـن العمـل الــسياسي وتحــولهم إلى العمــل العــسكري، فبـين عـامي (١٩٩٩-٢٠٠٤) بدأ نشاط (تنظيم الـشباب المؤمن) يأخذ طابعًا عسكريًّا إلى جانب تكثيف الدور الثقافي عبر المخيمات الصيفية.

وخلال هـذه الفـترة توسـع نـشاط التنظـيم في أرجـاء محافظـة صعدة، ثم افتتحت العديد من الفروع في محافظات الجمهورية.

وبعد أحداث (١١ من سبتمبر) رَفع التنظيم ما عـرف بعـد ذلك بـ (الـصرخة)، وهـي: «الله أكـبر، المـوت لأمريكـا، المـوت لإسرائيل، النصر للإسلام، اللعنة على اليهود».

وتحـت هـذا الـشعار تـم حـشد الآلاف مـن الـشباب النـاقم عـلى الجـبروت الأمريكـي المتغطـرس، وتحـت هـذه اللافتـة تـم التجييش الداخلي للتنظيم والتعبئـة المواكبـة للقبائل في صعدة وما جاورها[3]، وتحولوا إلى معارضـين رئيـسيين للنظام، بعـد أن شـعروا بالغربـة عـن الدولـة التـي جرّدتهم مـن منـزلتهم الـسابقة، ولم تُعـر تطـورهم الأمني والاقتـصادي أي اهـتمام[4]، ليقومـوا بسلـسلة مـن المواجهــات، مــدّعين أن الحكومــة تتحــرك لاعتبــارات طائفيــة وأيديولوجيـة وتاريخيـة في تمييـز صـارخ ضـد أصـحاب المـذهب الزيدي المتمركـز في المحافظات الـشمالية، وتجـرّدهم مـن حقـوقهم، فـضلًا عـن كونهـا تـستبعد المحافظات الـشمالية مـن بـرامج التنميـة الاقتصادية[5].

زادت تلـك الحـروب الحـوثيين قـوة، وضـاعفت خـبرتهم القتالية، الأمر الذي أحيا نزعة العودة إلى السلطة، وبما أن المرجعيـة التاريخية الداعمة للأسرة الإمامية لم تعد كذلك، توجهت القيـادات الـشابة لــ (الـشباب المـؤمن) إلى إيـران لطلـب الـدعم والمـساعدة، وأدخلت تعديلات على مرجعيتها.

فمنـذ انطـلاق الحـرب الأولى في (٢٠٠٤) مـع الدولـة وحتى الـسادسة عـام (٢٠١٠) كوّنـت مجموعـات قتاليـة محترفـة، شكلت منها مليـشيات؛ في اسـتدعاء واضـح لنمـوذج حـزب الله في لبنان[6].

تجـدر الإشـارة في هـذا الـسياق: إلى أن تركيبـة الحركـة مـن الداخل تماثل حـزب الله، مثـل: المكتـب الـسياسي للقيـادة، وكـذلك الـشكل التنظيمـي للتيـار العـسكري للحركـة. كـل هـذا يعـزز مـن حقيقـة أن الحـوثيين عـلى تواصـل مـع حـزب الله وتلقـوا تـدريبًا مـن قبله[7].

---

(١) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر: التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد» (ص١٣٤).

(٢) المرجع نفسه، (ص١٣٠-١٣١).

(٣) المرجع نفسه، (ص١٣٧).

(٤) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، (ص ١٠).

(٥) حسين عليوي ناصر الزيادي، «الدليل الجغرافي لمشكلة الحوثيين في اليمن: دراسة في جغرافية السياسة»، مجلة «البحوث الجغرافية»، العدد (١٣)، (ص٣٦١).

(٦) عبد البـاقي شمسان، «اليمن مـا بعـد عاصفـة الحزم: متطلبات إعـادة بنـاء الحقـل السياسي»، مجلة سياسات عربية، العدد (١٤)، (ماي ٢٠١٥)، (ص١٠٥).

(٧) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

وتأخر شيعة اليمن في الصعود إلى الساحة مقارنة بنظرائهم في دول الخليج ولبنان والعراق، مردّ ذلك إلى عاملين أساسيين:

الأول: يتعلق بعدم وجود شيعة إثني عشريين، كون الحوثيين -كما سبقت الإشارة- ينتمون عقديًّا إلى الجارودية، وجرى تحول بطيء في معتقداتهم، وتدريجي؛ لينضج في تسعينيات القرن الماضي، وهي الفترة التي تراجع فيها شيعة الخليج عن العمل المسلح وانتقلوا إلى العمل السياسي.

والعامل الثاني: يتمثل في الحروب التي كانت تعيشها اليمن في تلك المرحلة، والتي جعلت من الحوثيين قوة هامشية في الساحة، بل كانوا مجرد أداة في يد الحزب الاشتراكي الذي سعى لكسب حليف فكري مضاد للتحالف بين المؤتمر الشعبي العام (حزب الرئيس علي عبد الله صالح)، والتجمع اليمني للإصلاح (الإخوان المسلمين)، فقام بتشجيع حزب الحق وتقويته عملًا بمبدأ (لعبة التوازنات).

وكان الحزب قد استغل الحركة الحوثية ذاتها في صراعه مع شريك الوحدة (المؤتمر) في الفترة الانتقالية، وتفاعلت رابطة النسب العلوي لكل من بدر الدين الحوثي وزعيمي الاشتراكي علي سالم البيض وحيدر أبو بكر العطاس، لتفضي إلى تأييد الحوثي للانفصال.

وحدثت عقب حرب (١٩٩٤) مناوشات بسيطة في صعدة من قبل أتباع الحوثي، وانتهى الأمر بحملة عقب الحرب دمرت منزل بدر الدين الحوثي، وخرج على إثرها إلى لبنان وإيران، قبل دخول وساطة في الخط أعادت الرجل إلى اليمن في (١٩٩٧)[1].

❑ الحوثيون والثورة اليمنية:

انضم الحوثيون إلى الاحتجاجات ضد علي عبد الله صالح، وأقاموا علاقات مع النشطاء المناهضين للنظام في سائر أنحاء البلاد، واستفادوا من الفراغ في السلطة الذي تركته النخب المنقسمة المكونة للنظام القديم، ووسّعوا سيطرتهم على الأرض وعملوا على توسيع قاعدتهم الشعبية، ووضع برنامج سياسي، والمطالبة بمكان لهم في صناعة القرار الوطني[2].

وخلال المرحلة الانتقالية عادوا مرة أخرى إلى العملية السياسية؛ دون التخلي عن المعسكر الثوري، فقد أصبحوا السلطة الحاكمة بحكم الأمر الواقع في صعدة، وعيّنوا حاكمًا، وجمعوا الضرائب، وأشرفوا على عمل الحكومة المحلية، وأداروا الجهاز القضائي[3].

وقد دفعتهم مواقفهم المعادية بشدة للنظام إلى عدد من التحالفات التي لم تكن متوقعة، بما في ذلك: تعاونهم مع الشباب ذوي الميول الليبرالية، ونشطاء المجتمع المدني؛ الذين يطالبون بحكومة جديدة، كما أنهم تحالفوا مع نشطاء الحراك الجنوبي؛ الذين يهدفون إلى قلب النظام السياسي؛ من خلال تشكيل فيدرالية بين الشمال والجنوب، أو حتى استقلال الجنوب[4].

وبسبب ضعف مؤسسات الدولة، وتنحي صالح وفي وسط الفراغ السياسي في السلطة بدأت الجماعة بالنمو، حتى أنها قامت بتأسيس دولة فعالة داخل الدولة، عندما خرج الحوثيون من مراكزهم في أقصى شمال اليمن (محافظة صعدة)، وتمددوا جنوبًا عقب استيلائهم على العاصمة صنعاء، ورغم توقيع اتفاقية السلم والشراكة برعاية الأمم المتحدة إلا أن التوترات استمرت وانتهت بفرض جماعة الحوثي الإقامة الجبرية على رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، والعديد من أعضاء مجلس الوزراء[5].

---

(١) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر»، المرجع السابق، (ص١٣٥).

(٢) «مجموعة الأزمات الدولية، الحوثيون: من صعدة إلى صنعاء»، تقرير الشرق الأوسط، رقم (١٥٤)، بتاريخ (١٠/٥/٢٠١٤)، (ص١٠).

(٣) المرجع نفسه، (ص٢٠).

(٤) المرجع نفسه، (ص٦٠).

(٥) سماء الهمداني وآدم بارون وماجد المذحجي، «أدوار اللاعبين المحليين في الحروب

=

وفي هذه الفترة زاوج الحوثيون بين العمل السياسي؛ من خلال مسايرة شباب الثورة في عملية إسقاط النظام، ولكن في الوقت نفسه لم يتخلوا عن الأدوات العسكرية في تحقيق مكاسب خاصة على مستوى منطقة صعدة، وعندما لاحظوا اتجاه الحلول -سواء من خلال المبادرة الخليجية أو الحوار الوطني- في غير ما يصبون إليه انقلبوا على الثورة، ودخلوا في تحالف مع نظام علي عبد الله صالح؛ الذي كان بالأمس القريب عدوّهم اللدود، فقد كان الحوثيون معارضين للمبادرة الخليجية، وبدأ التنسيق بينهم وبين الرئيس المخلوع، ورفعوا شعار: (محاربة الفساد)، والتصدي للقرارات الحكومية، وتنظيم المظاهرات الشعبية في صنعاء، رفضًا لقرارها برفع الدعم عن المشتقات النفطية،

وفي الجانب الآخر؛ أقدموا بتحركات عسكرية على السيطرة على المناطق؛ خاصة منطقة صعدة حاضنتهم الرئيسية.

وبعد الحوار الوطني بتسعين يومًا هاجموا مركز الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي في دمّاج (المركز تابع للجماعة السلفية العلمية)، وحاصروا المركز، وقاوم السلفيون تسعين يومًا دون تلقي دعم أو مساندة من أي طرف! وقامت الحكومة بدور الوسيط بين الطرفين، وانتهى الأمر بإخلاء المركز، وتهجير المقيمين والطلاب؛ بمن فيهم العائلات إلى خارج منطقة صعدة.

ثم هاجموا القرى والمراكز التابعة لشيخ قبيلة حاشد وأولاده، وسيطروا على هذه المراكز فعليًّا، كما طالبوا بإقالة مدراء تلك المحافظات والقيادات العسكرية فيها، لكن اللواء حميد القشيبي رفض توسع الحوثيين عندما أرادوا إسقاط محافظة عمران في أيديهم، لأن سقوط عمران يمثل سقوطًا تدريجيًّا للعاصمة صنعاء، وهو ما سيحدث لاحقًا[1].

تكشفت خيوط المؤامرة بعدم تلقي اللواء القشيبي أية مساندة من الدولة، ولا من الطيران الحربي، بل كان وزير الدفاع يقوم بدور الوساطة بين الحوثيين والجيش الوطني، ومما زاد الطين بلّة: أنه كان يرجع إلى صنعاء دون أن يزور مقرات الجيش اليمني، وفي النهاية قُتل القشيبي، وانتهت المعركة لصالح الحوثيين، وسيطروا على المعسكر، وعلى الأسلحة الثقيلة[2].

وفي (٢١ سبتمبر ٢٠١٤) قامت ميليشا الحوثي باقتحام العاصمة صنعاء من عدة محاور، وتمكنت من السيطرة على كل مؤسسات الدولة السيادية والمقرات الحكومية والأمنية والتعليمية والإعلامية، في غضون ساعات معدودة، مع وجود أكثر من (١٥) لواء عسكريًّا من ألوية الحرس الجمهوري -الذي صممه صالح لحمايته وحماية مشروعه في توريث السلطة[3]- تحرس العاصمة، وتسيطر على كل المواقع والمنافذ والجبال التي تحيط بالعاصمة وداخل العاصمة.

أعلنت كلها الحياد، بل والأسوأ من ذلك: أنها قامت بضرب قوات من الجيش الذي كان يتبع الفرقة الأولى مدرعة من الخلف عندما ظلت تقاوم لفترة وجيزة وتدافع عن العاصمة، قبل أن تتأكد لهم الخيانة، فأمر اللواء علي محسن بالمغادرة حفظًا على الأرواح، ومنعًا لكارثة كانت ستحرق العاصمة[4].

وبكل سهولة، تمكن الحوثيون من الوصول إلى صنعاء، واحتلال المقرات الرئيسة في العاصمة، وطالبوا بإلغاء قرار رفع الدعم عن المشتقات النفطية، وإقالة الحكومة، وهو ما تم الاستجابة له، وتسارعت الأحداث إلى أن استطاع الحوثيون السيطرة على عدن، وخرج الرئيس هادي إلى السعودية، ثم طالب

= الدائرة في اليمن»، مركز «صنعاء للدراسات الإستراتيجية، غرفة الأزمات اليمنية»، ورقة سياسات رقم (٢)، (جويلية ٢٠١٥)، (ص٢٠).

(١) فهد ياسين، «تطورات الأوضاع في اليمن وآفاق الخروج من الأزمة الراهنة»، الدوحة، مركز «الجزيرة للدراسات»، (ص٤٠).

(٢) المرجع نفسه، (ص٥٠).

(٣) عصام القيسي، المرجع السابق، (ص٩١).

(٤) «وحدة الدراسات والأبحاث، الدولة العميقة في اليمن النشأة والمستقبل، أوراق سياسية»، بيروت، مركز «صناعة الفكر للدراسات والأبحاث»، (ص١٦).

بالتدخل العسكري العربي في اليمن لإنقاذ الدولة من الحوثيين»[1].

- **الحوثيون ومستقبل الدولة اليمنية:**

يؤكد سلوك الحركة الحوثية منذ لحظة تأسيسها مرورًا بكل مراحلها وطبيعة تعاملها مع الفرقاء الاجتماعيين والسلطة السياسية: مخاطر هذه الجماعة على كيان الدولة اليمنية ووحدتها الجغرافية، كما أن استمرارها في امتلاك الوسائل العسكرية ينذر بالمزيد من الحروب وما يتبعها من تفاقم مشكلات المجتمع اليمني.

فعلى المستوى الديني: تعد المسألة المذهبية في تمظهرها الحوثي إحدى العقبات الرئيسة للدولة اليمنية؛ من حيث التعصب المذهبي لجيل من الشباب جرت تنشئته على تلك الأفكار منذ حوالي ربع قرن، وجعلته يحدد الآخر بالنسبة إليه تحت مفردة (الدواعش)، واستيلاء أنصار الله على أسلحة الدولة وتخزينها، علاوة على امتلاكهم مليشيات وأجهزة سياسية وإعلامية تجعل من استمرارهم على شاكلة حزب الله ممكن الاحتمال.

وهذا يعني بوضوح: انعدام فرص بناء الدولة واستقرارها من جانب آخر[2].

وعلى المستوى السياسي: لا يَسمح تصورهم للسلطة السياسية المنطلِقة من خلفيتهم العقدية بإيجاد أي مساحات مشتركة مع بقية مكونات المجتمع، فهم يقدّمون أنفسهم كمدافع عن الهوية الزيدية ضد الذوبان في الهوية الإسلامية السنية الأوسع انتشارًا؛ وتحشد الدعم لنفسها بتبني مواقف معادية للولايات المتحدة وإسرائيل واليهود أحيانًا[3].

والجماعة تؤمن سلفًا: أن مسألة الحكم مفروغ منها؛ إذ أنها لقوم اختصّهم الله بها لأنهم: «أقوى من غيرهم في هذا الشأن»؛ على حد تعبير الحوثي الأب، وبالتالي فإن ما يظهر من نعومة أو انفتاح في بعض الأحيان إنما تحسبه هذه الجماعات من قبيل التكتيك المرحلي ليس إلّا[4].

ومن جهة أخرى؛ أثبت الواقع أنه لا يمكن الوثوق في هذه الجماعة التي خالفت كل الاتفاقيات، كما أنها لا ترتكز على أي مبادئ، حيث ركبت موجة الثورة ثم انقلبت على شبابها، وتحالفت مع الرئيس الذي قامت الثورة ضده!

وإذا كانت (سياسة التوازنات، وتغيير الحلفاء) سمة عامة لمختلف الأنظمة السياسية؛ خاصة التسلطية منها، فإن التحول في موقف علي عبد الله صالح من الحوثيين ليس غريبًا، ولكن بالنسبة لهؤلاء فالمسألة فيها الكثير من الغموض! لأن نظام صالح مسؤول عن مقتل حسين الحوثي، وخاضوا ضده ست حروب، وهي تكفي للتدليل على حجم العداء المفترض بين الطرفين.

وما زالت الجماعة تتحرك كمليشيا مسلحة، وتحسم الخلافات عسكريًّا، والشعارات السلمية التي ترفعها غالبًا ما تستعمل كغطاء للآلة العسكرية، جعل الحوثيون من الزيادة في أسعار الوقود مبررًا لحملتهم التي امتدت لسنوات، وسيطروا بها على العاصمة، ووضعوا الرئيس قيد الإقامة الجبرية، وهذا العمل لا ينسجم مع مبادئ الثورة التي ركبها الحوثيون، كما أنه تجاوز عن السبب المباشر المتمثل في أسعار الوقود إلى مطالب سياسية جاءت جلّها لخدمة مصالح وأهداف الجماعة أولًا وأخيرًا.

وكل ذلك جاء بقوة السلاح، وليس بالحوار؛ رغم نسبتهم الهامشية جدًّا في الوعاء الانتخابي التي أثبتتها التجارب السابقة.

وفي الإطار السياسي -ولكن في بعده الخارجي-: تبقى الجماعة مجرد أداة إيرانية خاضعة لإرادة (الولي الفقيه) وتوجيهات (الحرس الثوري)، وهو ما يؤكد ضَعف احتمالات زحزحتها عن مواقفها، ومؤشرات التبعية أضحت بادية للعيان.

(١) فهد ياسين، المرجع السابق، (ص٥٠).

(٢) عبد الباقي شمسان، المرجع السابق، (ص١٠٦).

(٣) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، المرجع السابق، (ص ٤٠).

(٤) محمد جميح، المرجع السابق.

فإضافة إلى الجوانب الفكرية والسياسية -التي تمت الإشارة إليها في المحاور السابقة- هناك إشارات أخرى تعزز ذلك، لعلّ أهمها: قيام الحوثيين في أول مهمة بعد إسقاط صنعاء بمحاصرة مبنى الأمن السياسي للإفراج عن المعتقلين بذمة قضية ما يعرف بـ (السفينة جيهان)، التي قالت الحكومة اليمنية: إنها سفينة إيرانية كانت محملة بالأسلحة للحوثيين.

ترافق هذا مع إعلان مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني بأن صنعاء أصبحت رابع عاصمة عربية تقع تحت النفوذ الفارسي![1]، وقد حصل ذلك رغم عِلم إيران بتحالف الحوثيين مع علي عبد الله صالح، وهي التي ناصرت -سياسيًّا وإعلاميًّا- الثورة اليمنية ضد الحكم الفردي لعلي عبد الله صالح، وكانت تنظر لما يجري في اليمن على أنه امتداد لثورتي تونس ومصر[2].

وبالموازاة مع ذلك، وعلى عكس شعارات الحوثي وخطابه في أنه يحارب قوى الإمبريالية والاستعمار؛ إلا إن تحركاته العملية تقول: إنه ليس إلا قوة عسكرية تسعى للسيطرة على الحكم منفردًا باليمن، ورغم خطابه المعادي لأمريكا فهو أبدى حسن نية للتعاون معها في مكافحة الإرهاب، ولم يتعدّ على مصالحها باليمن[3].

تقطع الأبعاد -المشار إليها أعلاه- بالتأثيرات السلبية للظاهرة الحوثية على الدولة اليمنية، كما أنها ترجح لعبها دورًا حاسمًا في تقسيمه إذا لم يتم احتواء الجماعة وتجريدها من كل وسائل القوة، ذلك أنهم غير راضين عن التقسيم الحالي للحدود الفيدرالية ويدفعون -سياسيًّا وعسكريًّا- لمراجعتها.

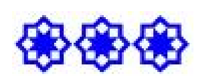
فمع قبولهم بالفيديرالية من حيث المبدأ؛ لكنهم يرفضون الخطة الفيدرالية التي تقسم البلاد إلى ستة أقاليم، على أساس أنها لا تستند إلى معايير سليمة[4].

وقد تحالفوا مع الانفصاليين -كما سبقت الإشارة-، ومما يعزز هذه الهواجس: الطبيعة الجغرافية للمذهب الزيدي بوجوده في منطقة الشمال، أي: شمال صنعاء وحولها، وهو مذهب منتشر في أراضي قبائل همدان فقط، أي: هو مذهب مناطقي -قَبلي داخل اليمن، والمنطقة التي ينتشر فيها المذهب الزيدي تدعى باليمن الأعلى.

وهو تقسيم قديم يسبق الإسلام، ومختلِف عن تقسيم اليمن الحديث إلى شمال وجنوب، وهذه المنطقة هيمنت على حكم اليمن منذ القرن السابع عشر وحتى الآن[5].

وطبيعة التحالف المكون في غالبيته من مراكز القوى في شمال الشمال اليمني، وذلك يعزز شعور الحركة الانفصالية في الجنوب لتطلق على مسلحي الجماعة تسمية: (قوى الاحتلال الشمالي).

كما أن تقديم جماعة الحوثيين كجماعة شيعية فتح الباب على مصراعيه لمختلف الصراعات الطائفية والجغرافية؛ حتى الهامدة منها لتطفو على السطح في جميع أنحاء البلاد[6].



(١) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٢) حسن أحمديان، «الموقف الإيراني من تطورات اليمن: وجهة نظر إيرانية»، الدوحة، مركز «الجزيرة للدراسات»، (٢٥/٦/٢٠١٥)، (ص٤٠).

(٣) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٤) «مجموعة الأزمات الدولية، الحوثيون: من صعدة إلى صنعاء»، المرجع السابق، (ص١٣).

(٥) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٦) سماء الهمداني وآدم بارون وماجد المذحجي، المرجع السابق، (ص٣).

شيعة غرب كردفان..
تمدد شيعي جديد في أرض النيلين

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

بعد قرارات الحكومة السودانية بتجفيف منابع الشيعة بالسودان، وإغلاق مراكزهم الثقافية وإيقاف نشاطهم بالبلاد، وإغلاق السفارة الإيرانية بالخرطوم؛ توقف النشاط الشيعي العلني بالبلاد، ولكن تبيّن قبل فترة أن في مدينة (أبو زبد) بولاية غرب كردفان في الجنوب الأوسط للسودان وجودًا شيعيًّا، ومراكز شيعية مفتوحة، وأتباعًا للمذهب الشيعي، معروفين لجميع الأهالي هناك، يمارسون نشاطهم جهارًا نهارًا!

وهذا الوضع كان مستفزًا لأهل مدينة أبو زبد، فنظموا كثيرًا من الأنشطة المناهضة للتشيع، وبيان خطره على عقيدة الأمة وأخلاقها ووجودها.

▣ النشاط الشيعي .. البدايات والرموز:

تقع ولاية غرب كرفان في الجنوب الأوسط للسودان، تحدها من الشمال ولاية شمال كردفان، ومن الجنوب دولة جنوب السودان، ومن الشرق ولاية جنوب كردفان، ومن الغرب ولايتا شمال وشرق دارفور، وعاصمة الولاية هي: مدينة الفولة، وأهم المدن فيها هي: غبيش والنهود والخوي والأضية وأبو زبد والرهد وهجليج.

ترجع بدايات وجود التشيع في ولاية غرب كردفان ومدينة أبو زبد إلى عام (١٩٩٦م)، بزيارة قام بها لمدينة أبو زبد شيعي معروف بالخرطوم يدعى: جلال الدين، وهو متقاعد من الجيش السوداني، وكان يتردد على المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم، وقام خلال تلك الزيارة بتأسيس الوجود الشيعي بالمدينة، وجنّد شخصًا يدعى: (عيسى مدني العنيني)، صار فيها بعد أبرز رموز شيعة الولاية ومدينة أبو زبد.

يقول إمام مسجد سلمان الفارسي شيخ الدين بلال عبيد: «إن النشاط الشيعي -حاليًا- انتقل إلى خارج أبو زبد جنوبًا، ووصل حتى منطقة لقاوة، ويتراوح عدد الشيعة في المنطقة ما بين (٢٠٠-٢٥٠)، وخطورتهم تكمن في: استهداف طلاب المرحلة الثانوية والجامعية؛ حيث يقدمون لهم المساعدات المالية».

مؤكدًا أن هذا الفكر يعتمد في انتشاره على إغراء المال، وأن ثلاثة من أكبر التجار بسوق أبو زبد شيعة، ويعملون على استقطاب البسطاء بعاطفة العصبية والقبلية والولاء القديم، وأغلب المتشيعين هم من البسطاء وأصحاب المصالح الخاصة، وهم من الطبقة غير المستنيرة، ونشاطهم ضعيف (حسب رأيه!)، ولا يؤثر إلا على ضعاف النفوس والدين.

○ وفيما يلي وقفة مع أبرز رموز الشيعة بولاية غرب كردفان ومدينة أبو زبد، وهم:

أولًا: عيسى مدني:

تعود أصول عيسى مدني إلى دوله تشاد، المجاورة للسودان من جهة الغرب، وجاء هذا الرجل إلى السودان بعد أن تم طرده من تشاد لأسباب عقدية، وطاب له المقام بقرية الدبكر (١٧ كيلو شرق أبو زبد)، وكذلك تم طرده منها، فانتقل إلى مدينة أبو زبد، وعندما جاء إلى أبو زبد كان صوفيًّا ينتمي للطريقة التجانية، لكنه تحول لفكر آخر يسمى: (التربية)، وهو جزء من الفكر الصوفي، وهذا التحول أفقده كثيرًا من الأتباع الذين جاء بهم من تشاد.

بدأ مدني دراساته الإسلامية منذ عام (١٩٦٥م)، وبعد فترة صار عالِمَ مدينة أبو زبد ومرجعها الديني، وقلّده السكان منصب الفتوى في عام (١٩٧٠م)، ولم توجه له انتقادات فيما يصدر عنه من فتاوى.

ويقول عبد الدائم تاج الدين أحمد -إمام وخطيب مسجد الأنصار بالمدينة-: «إن مدني كان مفتي المدينة، ومن أئمة التصوف البارزين، ولكن بعد نشرِه كتابًا لأحد مرجعيات الشيعة الإمامية اجتمع الصوفية بالمدينة، وألغينا دوره كمفتٍ، وتم فصله من

الطرق الصوفية، وخاطبنا الأوقاف بذلك، وأبلغنا الحكومة بكافة مستوياتها بأن هذا الرجل خرج عن إطار التصوف الحق المبني على الكتاب والسنة، ودخل في مذهب الإمامية الجعفرية، ونشرنا هذا القرار في الوسائط الإعلامية، ونظّمنا ندوات لتنوير المواطنين والطلاب والطبقات المستنيرة بذلك، وعملنا على مقاطعته اجتماعيًّا».

وقال: «كنتُ أفتي على مذهب الإمام مالك، ولكن الآن أفتي على مذهب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي حنيفة، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، والظاهري، وأبحث لأرى أين الحق فأتّبعه، ولا أتقيد بكتاب معين، بل الكتاب والسنة، لاعتقادي أن كل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل، وما وافقهما فهو الحق، وفي بحثي لا أعتمد على مذهب واحد، بل أرى ما هو أقوى دليلًا ونصًّا فأعمل به».

حاول مدني الانضمام لجماعة أنصار السنة وفشل، ثم انضمّ للحركة الإسلامية، وكان من المرشدين في معسكرات الجهاد في التسعينيات، وفي فترة المفاصلة داخل حزب المؤتمر الوطني الحاكم انضم لحزب المؤتمر الشعبي المعارض بقيادة د. حسن الترابي، وعاش فترة من الفراغ لقلة نشاط الحزب هناك، وهذا ما جعله يوافق مباشرة بمجرد أن عُرضت عليه فكرة الانضمام إلى الشيعة.

ويقول عنه د. عمار صالح - مدير المركز الإسلامي للدعوة والدراسات المقارنة بالسودان -: «هذا الرجل حيثما ذهبنا إلى مكان في كردفان وجدنا آثاره، وقد وجدنا له أثرًا واضحًا في مدينة لقاوة، فقد استطاع تجنيد بعض الأشخاص الذين يعملون في مراكز حساسة هناك، ومنهم شخص مسؤول في منظمة كبيرة فرع لقاوة، والآن بدأوا يتكتلون في مدينة النهود وما حولها، ولهم اتصالات خارجية».

وفي منشور مطبوع ومتداول في مدينة أبو زبد، كتبه أمير سيد أحمد عطا السيد من أبناء المنطقة قال: «إن الرجل يتمتع بذكاء خارق ساعده على نشر التشيع بصورة كبيرة، وإنه تزوج من معظم القبائل الموجودة بالمنطقة لتتوفر له الحماية، وصاهر العُمد والشخصيات النافذة ليضمن عددًا من الأتباع، وأنه يجيد المراوغة ويتعامل بالتقية، فأحيانًا يزعم أنه من أتباع الطريقة التيجانية، وتارة أنه من أهل السنة أو من جماعة الإخوان المسلمين!

كما تم ترشيحه لتمثيل حزب المؤتمر الوطني الحاكم في المحلية، مما أتاح له فرصة جيدة ليعمل تحت غطاء هذا الحزب، ويخرج مع أتباعه علنًا لإحياء ذكرى عاشوراء، وإقامة طقوس شيعية أسبوعية، وذلك قبل قطع العلاقات مع إيران، أما الآن -والكلام لأمير- فهو يتعامل بالتقية، ويقيم الاحتفالات في أماكن مغلقة، ولا يعمل الرجل في أي مهنة، ولا يخرج من مكتبته التي بها كل كتب الشيعة، وكتب السنة ليجادل بها من يناظره، وله أبناء صغار يسبّون الصحابة، ويكفّرون أبا بكر وعمر علنًا.

كما يكفل الرجل عددًا من طلاب كلية الشريعة والقانون في بيته، وجعلهم يتركون داخلية الجامعة، ليقيموا معه؛ لينهلوا من معين الشيعة الروافض، وقيل: إن حوالي (٣٠) منهم تشيعوا، وقد ابتعث عددًا من الشباب صغار السن إلى إيران بعد الشهادة السودانية، وسافروا إلى مدينة قُم ليدرسوا منهج التشيع، وهم الآن يشكلون القنبلة الموقوتة في المنطقة بعد عودتهم لديارهم.

ويسافر عيسى مدني كثيرًا إلى إيران ولبنان، ويتمتع بعلاقات مع زعماء الشيعة في أنحاء العالم.

من أبرز ملامح عقيدة وفكر عيسى مدني: أنه يطعن في «صحيح البخاري»، ومن مقولاته: إن أبا بكر رضي الله عنه قتل الصحابة! ومعلوم أن الصديق رضي الله عنه قاتل المرتدين، ومن مقولاته: إن الله لم يرضَ عن الصحابة أجمعين، ومن ممارساته العملية أنه يمسح في الوضوء من غير جوارب ولا خفّ، وهذه أعمال الشيعة المعروفة في مذهبهم.

صار لعيسى مدني أتباع كثر بالمنطقة، منهم (م.أ) الذي له مركز شيعي يسمى: «مركز الحسيني»، تقام فيه الاحتفالات

ومناسبات الشيعة، ويعدّ هو المركز الثاني للشيعة في أبو زبد، وتتم الآن توسعته ليستوعب المناسبات الشيعية التي تقام فيه بحضور الأتباع من الداخل والخارج، ومن أتباعه اللاعبين العمدة (ع.ح) والعمدة (م.أ)، و(م.ع.س)، و(ع.س)، و(ع.ك)، و(ر.ع) وهو إمام مسجد بالسوق الشعبي، وفي منطقة الدبكر القريبة من أبو زبد و(أ.ش)، و(ع.د) وغيرهم».

ثانيًا: مهدي جمعة:

استطاع عيسى مدني تجنيد بعض النافذين في المدينة مثل: مهدي جمعة -أمين مكتبة كلية الشريعة والقانون بجامعة غرب كردفان-، وهو الذي ساهم في دخول كتب الشيعة لمكتبة الكلية، وقد ذهب إلى إيران أكثر من مرة.

وتقول أمينة مكتبة كلية الشريعة والقانون: «إن (مهدي جمعة) زميل لهم في المكتبة، وهو ينتمي للشيعة، ولكنهم لا يناقشونه في أفكاره»، وعن دخول بعض الكتب الشيعية إلى المكتبة قالت: «عند بداية تأسيس المكتبة فإن الكتب التي وردت للمكتبة كان من بينها كتب شيعية، وكان يجلبها مهدي جمعة لمكتبة الكلية، لكنه مُنع من قبل إدارة الجامعة، وتم عزلها في حينه، والآن لا توجد كتب شيعية».

وقد تقدم بعض الطلاب من أهل السنة بشكوى لإدارة الجامعة حول وجود كتب تدعو للمذهب الشيعي في مكتبة الكلية، فتم إخراج الكتب من المكتبة، ولم يتم حرقها، بل تم تسليمها لمهدي جمعة، وقد جعلها الرجل في بيته ليحصل عليها من أرادها في أي وقت.

ثالثًا: محمد إسحاق:

الشيخ محمد إسحاق هو أحد الذين جنّدهم مدني، وهو تاجر في سوق أبو زبد، وينتمي للطريقة التجانية منذ الصغر، يقول عن نفسه: «شيخنا أحمد التجاني من الأشراف المنسدلين من ذرية سيدنا الحسن بن علي، وبالتالي التجانية يعظمون الأشراف لأنهم من نسل الرسول ﷺ».

ومن مقولات محمد إسحاق: «في الحديث الشريف الرسول ﷺ قال لسيدنا علي: **«لا يحبّك إلا مسلم، ولا يبغضك إلا منافق»**، وكوننا نحب عليًّا أو نبقى من شيعته ليس هنالك عيب، مؤكدًا أنهم لا يتفقون مع من يسبّ الرسول أو أصحابه، بل ولا يقبلون حتى سب المسلم لأخيه المسلم».

وعن الطعن في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، يقول محمد إسحاق: «إنها أمّنا، ولا يمكن أن يتحدث الإنسان في أمه»، وعن زوجات الرسول قال: «هن (معصومات) لا يمكننا أن نتحدث فيهن»، وعن صحابة رسول الله قال: «إنهم مكرمون ولهم اعتباريتهم، ولا أحد يتجرأ على سبّهم».

وقد تم ابتعاث أحد أبناء محمد إسحاق للدراسة في إيران في حوزة «قُم» المقدسة لدى الشيعة! وكانت تقام كل المناسبات والحولية الحسينية واحتفالات الموالد بزاوية محمد إسحاق.

▣ المؤسسات والمناشط الشيعية بغرب كردفان:

يعتبر مركز ومجمع عيسى مدني هو أكبر مركز للتشيع بمدينة أبو زبد بولاية غرب كردفان، وقد أطلق عليه اسم: «مركز جعفر الصادق»، ويتكون هذا المركز من مسجد وخلوة (كُتّاب لتحفيظ القرآن الكريم)، ومكتبة ضخمة غنية بالكتب والمراجع الإسلامية، تمثل مرجعًا لكل الطلاب الباحثين وطلاب العلم في المدينة، ويحوي المجمع -أيضًا- داخلية طلاب، كما عمل مدني على توسعة المسجد، وحفر بئرا إرتوازية لمد المجمع بالمياه.

وبعد انضمامه للشيعة كوّن مكتبة أخرى حوت كتب ومراجع الشيعة، وتعتبر هذه المكتبة أكبر وأضخم مكتبة شيعية بغرب السودان، وقد تم بناؤها بطريقة متينة وحديثة، يتضح منها الدعم المادي الذي يتلقاه هذا الرجل من إيران ولبنان، وشيعة الكويت.

وأنشأ مدني كذلك مستوصفًا طبيًّا بواسطة أحد الشيعة الكويتيين، كما تم جلب عربة له لتمكينه من متابعة وتوسيع نشاطه

في الدعوة للتشيع، وأتيحت لـه فـرص بعثـات خارجيـة لطلابـه إلى إيران، كما أتيحت له زيارة إيران مرتين ولبنان وقابل زعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله.

أما المركز الثاني للشيعة داخل مدينة أبو زبد فهو: المركز الذي يسمى: «مركز الحسيني»، وتقام فيه الآن المناسبات الشيعية بحضور الأتباع من الداخل والخارج، ويتميز «مركز الحسيني» بنشاط شيعي كثيف، وصاحبه ذو إمكانيات مالية كبيرة، ويعتبر المموّل الرئيس للتشيع بالمنطقة كلها، وقد أصدر مؤخرًا كتابًا أسماه: «مَن هم أهل البيت؟».

ومن أبرز مناشط الشيعة: ابتعاث الطلاب إلى إيران، وقد اعترف عيسى مدني أن لديه أبناء يدرسون هناك، وقد وصف ذلك الابتعاث أنه في إطار ضيق، وهم جميعًا لا يتعدون (١٠) طلاب، اثنان منهم من أبناء مدني نفسه، وذلك للاستفادة من الفرص المجانية التي أتاحتها إيران في ذلك الوقت، عندما كانت العلاقات بين السودان وإيران جيدة.

ومن أبرز مناشطهم كذلك: إقامة كل المناسبات الحولية الحسينية، واحتفالات الموالد لأئمة الشيعة، وتوجد حسينيات في أماكن غير معلومة في مدينة أبو زبد وما جاورها.

▣ خلاصة:

يتضح من خلال ما سبق: الوجود الشيعي الكبير في منطقة غرب كردفان، وهو ما يقتضي ضرورة تجفيف منابع الشيعة، ومتابعة قنوات تمويلهم الذي يساهم في توسع نشاطهم بالمنطقة، وأن يسعى سكان المنطقة والحكومة للتحرك لإدراك ما يمكن إدراكه قبل استفحال انتشار هذا الفكر الضال!

ويحمّل كثير من المراقبين الحكومة المحلية في المنطقة، ورئاسة ولاية غرب كردفان والحكومة في الخرطوم مسؤولية انتشار هذا الفكر، حيث لم يتم تنفيذ توجيهات رئاسة الجمهورية الآمرة بإغلاق مراكز الشيعة بالسودان؛ حيث لم يطبق هذا التوجيه بمدينة أبو زبد، حيث ظلت دعوة الشيعة مستمرة ومراكزهم مفتوحة واحتفالاتهم جهارًا نهارًا، ولم تضع الحكومة يدها على «مركز جعفر الصادق» بالمدينة و«مركز الحسيني» وغيرهما من المؤسسات.

وحذر مراقبون من التساهل مع الشيعة، والذين تتوسع دائرتهم يومًا بعد يوم، وطالبوا بضرورة الإسراع بإغلاق مركزهم وتوقيف نشاطهم، ووضعهم تحت المراقبة المكثفة، وحذروا من خطورة أن يتمدد الفكر الشيعي في السودان من هذه المدينة!

مراجع:

١ - «صحيفة الصيحة السودانية»، بتاريخ: (الجمعة، ٩ يونيو ٢٠١٧م)، سلسلة حلقات بعنوان: (الصيحة تقتحم معاقل الشيعة بغرب كردفان).

٢ - «حوار مع د. عمار صالح»، مدير المركز الإسلامي للدعوة والدراسات المقارنة بالسودان.

٣ - «قصّة الشيعة في (أبو زبد)»، منشور بتاريخ (١١ مارس ٢٠١٣م)، على الرابط:

http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/٢bb.cgi?seq=msg&board=٤٥٠&msg=١٣٨٣٥٦٢٥٣٦=&rn

الاغتيال السياسي في إيران .. الملالي ومواجهة المختلفين

أسامة الهتيمي - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

تفتح قضية اغتيال المعارض ورجل الأعمال الإيراني سعيد كريميان في مدينة إسطنبول التركية نهاية شهر (إبريل) الماضي من جديد: ملف الاغتيالات السياسية في إيران، والذي بالنظر في صفحاته المتخمة بالأحداث والقضايا يتكشف إلى أي مدى يمكن أن يوصف نظام الملالي منذ أن وصلوا لحكم البلاد عام (١٩٧٩م) بالعنف والدموية، ليس فقط تجاه هؤلاء المختلفين معهم على مستوى التوجهات الأيدلوجية، بل ومع أي شخص

راودته نفسه بأن يعرب عن تباين -ولو بقدر ضئيل- مع ما يتبناه المرشد وقادة الثورة المزعومة!

فضلًا عن تلك الاغتيالات التي تأتي على خلفية دوافع قومية أو عرقية، أو حتى بحقّ هؤلاء الذين اعتبرهم الملالي عقبات تعرقل تنفيذ مشروع تصدير ثورتهم، فهم لا يترددون في استهداف أي شخص؛ ولو كان من غير الإيرانيين.

وبغضّ النظر عن كون إيران واحدة من الدول الراعية للإرهاب، أو تصنيفها باعتبارها الثانية عالميًّا من حيث عدد الإعدامات بعد الصين، والأولى بحسب نسبة السكان، وهي الإعدامات التي تتم وفق محاكمات علنية؛ رغم أنها ناقصة وغير نزيهة؛ حيث لا يتوافر فيها للمتهمين الحد الأدنى من الحقوق القانونية، إلا أن الاغتيالات السياسية التي نعنيها هنا هي: عمليات القتل التي تتم وفق قرارات خاصة بقتل شخص بعينه خارج دائرة القانون الذي يفترض أن يتم التحاكم إليه.

فهي -إذن- قرارات تتخذ بحق المستهدفين ليست لها معايير قانونية، ويغلب عليها هوى متخذيها الذين لهم وحدهم حق اتخاذ قرارًا تقتل المستهدفين في الزمان والمكان اللذين يحلو لأصحاب القرار اتخاذهما، ودون أن يعلم الضحايا الأسباب وراء قرار اغتيالهم!

ومن ثم؛ وفي هذا الإطار، فإنه ليس من المبالغة في شيء الاعتقاد بأن أعداد الذين تعرضوا لعمليات اغتيال سياسي بيد السلطة الإيرانية وعبر رجالها؛ سواء كان ذلك في إيران أو في خارجها، والذين بلغوا وفق ما تم تسجيله عشرات الآلاف، يرقى لجعل إيران الدولة الأولى عالميًّا في معدل الاغتيال السياسي -إن كان ثمة قائمة عالمية بذلك-.

الأمر الذي يطرح علامات استفهام وتساؤلات جديدة تضاف لغيرها حول حقيقة الموقف الدولي ممّا يحدث في إيران؟ ولماذا لا يتم التحرك فعليًّا من أجل محاسبتها على كل هذه الانتهاكات التي تجري بحق الإيرانيين أو غيرهم من خلال هذه السلطة، في الوقت الذي لا يتردد للحظة واحدة هذا المجتمع الدولي بمؤسساته ومنظماته في أن يثير العواصف إذا ما وقعت حادثة انتهاك هنا أو هناك في البلاد العربية أو الإسلامية الأخرى؟

إن ذلك -بكل تأكيد- يعكس إلى أي مدى تصبح المصالح هي المهيمنة على القيم والمبادئ، والتي تجعل من هذه المؤسسات نماذج للكيل بمكيالين؛ حتى إذا ما تضاربت المصالح أو دعت الحاجة لاستدعاء هذه الانتهاكات فإنه في هذه الحالة يمكن استخدامها من قبل القوى الدولية كورقة ضغط لتحقيق أهداف بعينها ليس إلا، ودون حل جذري للقضية.

وما ذهبنا إليه ليس تجنيًّا على المجتمع الدولي، بل هو أقل ما يمكن أن نصف به مجتمعًا تخلى عن دوره في حماية حقوق الإنسان في بلد يمارس كل أنواع الإيذاء البدني والنفسي تجاه كل مَن يعارضه أو يختلف معه قيد أنملة! متشدقًا بشعارات يلبسها ثوب دين هو في قيمه وتشريعاته أفضل نموذج على الأرض للتعددية وقبول الآخر، واحترام الآراء، وتقدير الاختلاف، فارتكب بأفعاله هذه جريمتين كبيرتين استحق بهما العقاب:

أولاهما: الإساءة للإسلام.

وثانيتهما: تلك الانتهاكات بحق الضحايا.

وهو ربما ما دفع البعض إلى مظنة أن تتم مطالبات بمحاكمة قادة إيران المسئولين عن هذه الجرائم!

○ فتاوى واعترافات:

يعلم كل المتابعين للشأن الإيراني أنه: ووفق النظام السياسي الحاكم في البلاد؛ فضلًا عن الدستور فإن كل سلوك أو تصرف يصدر عن أية جهة في الدولة الإيرانية يجب أن يحظى برضا وقبول من قبل المرشد الأعلى للثورة، ومن ثم فإنه ليس هناك جهة إيرانية قادرة على اتخاذ قرارات بإعدام أشخاص بعينهم دون العودة إلى مرشد الثورة، بل وبإصدار فتوى منه شخصيًّا.

ولعل الفتوى التي أصدرها المرشد الأول للثورة

الخميني عام (١٩٨٦) بشأن اغتيال الدكتور كاظم رجوي نموذج على ذلك، والتي جاءت عقابًا لرجوي على دوره في فضح ملف الانتهاكات الحقوقية في إيران، والتي كان من آثارها: المصادقة على أول قرار إدانة لانتهاك حقوق الإنسان من قبل نظام الملالي في «الجمعية العامة للأمم المتحدة» في خريف عام (١٩٨٥)، الأمر الذي أجّج نار الغضب في صدر الخميني وأعوانه؛ فأصدر فتواه تلك.

كذلك يعلم الجميع: أن المذبحة المروّعة التي وقعت في السجون الإيرانية في صيف عام (١٩٨٨)، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من المعارضين الإيرانيين كانت بأمر مباشر من الخميني، فيما أن الذين تولوا أمر تنفيذها أصبحوا فيما بعد يحتلون مناصب مهمة في الدولة الإيرانية؛ فأحدهم: أصبح نائبًا لرئيس المحكمة العليا للبلاد، وزعيم العتبة الرضوية، ومرشحًا لخلافة علي خامنئي، وآخر: يتولى وزارة العدل في حكومة روحاني، وثالث: يدير مكتب محاماة في طهران.

وكانت قد أسفرت حادثة الاغتيالات التي استمرت لنحو خمسة أشهر متواصلة عن اندلاع أعمال عنف وشغب في ربوع إيران برغم محاولات النظام أن تمر في سرية تامة؛ مع إنكارها المستمر وخلق أسباب لتبرير إقدام النظام عليها، غير أن منظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية رفضت تبريرات النظام، وعلى رأس تلك المنظمات «العفو الدولية» التي أكدت رسميًّا اختفاء أكثر من (٤٤٨٢) سجينًا، فيما أشارت جماعات المعارضة الإيرانية إلى أن عدد السجناء الذين تم إعدامهم أكبر بكثير مما ذكرته المنظمة، في إشارة إلى أن النظام الإيراني أعدم ما بين (٨) آلاف إلى (٣٠) ألف سجين سياسي.

وحاول النظام الإيراني أن يروج لأسباب تبرر هذه الاغتيالات بحق المعارضة السياسية؛ فادّعى أن الضحايا ينتمون لحركة «مجاهدي خلق»! وذيلت ذلك بكونهم إرهابيين، مستندًا في ذلك لفتوى الخميني التي صدرت قبيل الحادثة بوقت قصير، وذلك لإضفاء الشرعية على الحادثة.

وقد جاء فيها: أن «أعضاء مجاهدي خلق يحاربون الله، واليساريون مرتدّون عن الإسلام»، وأن «أعضاء منظمة مجاهدي خلق لا يعتقدون بالإسلام، وإنما يتظاهرون به، وبالتالي نظرًا لشنّ منظمتهم الحرب العسكرية على الحدود الشمالية والغربية والجنوبية لإيران، ولتعاونهم مع صدام في الحرب والتجسس ضد إيران، ولصِلتهم مع القوى الغربية للمطالبة بالاستقلال؛ فإن جميع أعضاء منظمة مجاهدي خلق الذين ما زالوا يدعمون (خلق) ومواقفها فهم مشمولون باعتبارهم مقاتلين أعداء، ونحتاج إلى تنفيذ أحكام الإعدام بشأنهم»[١].

وكان الإيراني نيما سرفستاني قد استعرض وثيقة فتوى الخميني في فيلم وثائقي تحت عنوان: «أولئك الذين قالوا: لا للملالي»، قدّمه في ألمانيا، ووثق خلاله الجرائم التي ارتكبها النظام في إيران بعد قيام ما يسمى بـ «الجمهورية الإسلامية» عام (١٩٧٩).

كذلك؛ فقد تم في عهد الرئيس الإيراني محمد خاتمي تسريب قائمة تقضي باغتيال (١٩٧) مثقفًا وكاتبًا، استنادًا إلى فتاوى صادرة عن علماء شيعة من أمثال: مصباح يزدي، وجنتي، وآخرين.

وبحسب وسائل إعلامية؛ فقد اعترف التلفزيون الرسمي الإيراني -وللمرة الأولى- خلال شهر (فبراير) الماضي بتنفيذ عمليات اغتيال لمعارضي النظام خارج البلاد على يد عملاء له، وذلك ضمن برنامج حواري حضره أنيس النقاش المعروف بتدريبه لعماد مغنية -القائد العسكري السابق لميليشيات حزب الله اللبناني-.

ففي هذا البرنامج أشار النقاش إلى أنه كان مسجونًا في فرنسا، عندما تدخل المذيع الإيراني وحيدي أمينبور المنتمي إلى

---

(١) http://cutt.us/٣hl٥

التيار الأصولي والمعروف بعلاقاته مع الأجهزة الأمنية الإيرانية موضحًا سبب اعتقال أنيس النقاش في فرنسا؛ فقال المذيع: «بعد مرور عام من الثورة الإيرانية ذهب أنيس النقاش إلى فرنسا لاغتيال رئيس وزراء الشاه شابور بختيار، وأن العملية لم تتكلل بالنجاح، واعتُقل إثرها أنيس النقاش، وسُجن عدة سنوات».

وكان وزير الاستخبارات الإيراني محمود علوي قد اعترف هو الآخر في عام (٢٠١٤) بـ «تنفيذ اغتيالات ضد معارضين لنظام الجمهورية الإسلامية في الخارج»، ضمن نشاطات وزارته خارج البلاد؛ حيث أكد أن «الاغتيالات شملت زعيم جيش النصر البلوشي عبد الرؤوف ريغي، وابن شقيقه، وأشخاص آخرين في باكستان»[١].

بل إنه وفي عام (١٩٨٥م) نشرت صحيفة «كيهان» تصريحًا لقائد الحرس الثوري -آنذاك- محسن رضائي ألقاه في المؤتمر الوطني للطلاب جاء فيه: «إننا نحكم من خلال الإرهاب»، ومضيفًا في موضوع آخر من التصريح: «لقد نشرنا إرهابًا مكّننا من التحكم في المعارضين».

يضاف إلى ذلك: تلك الأنباء التي تتوارد من إيران بين الحين والآخر حول قيام السلطات الإيرانية بتدمير مقابر جماعية تضم رفات العشرات بل والمئات من الذين تعرضوا للموت خارج دائرة القانون، ومن ذلك: ما تم الكشف عنه في أول (يونيو ٢٠١٧)؛ حيث اتهمت «منظمة العفو الدولية» السلطات الإيرانية بتدنيس حرمة مواقع قبور جماعية تحوي رفات أربعة وأربعين شخصًا على الأقل من عرب الأحواز، تمت تصفيتهم في ثمانينيات القرن الماضي.

وأكدت المنظمة في تقرير صادر عنها: أن تدمير وإزالة تلك المقبرة الجماعية أو غيرها سيمحو كافة الأدلة الشرعية المتوفرة، ويقطع الطريق على أي محاولة مستقبلية لمساءلة مرتكبي جرائم القتل الجماعي والتصفية العرقية بحق المعتقلين في تلك الفترة أو تقديمهم للعدالة.

والمقبرة الجماعية -التي تبعد نحو (٣) كيلومترات عن مقبرة بيهيشت آباد- ليست الوحيدة التي يتم طمس معالمها! حيث أفادت منظمة العدالة لإيران بأن مقبرة جماعية أخرى تضم رفات أكثر من (١٧٠) معتقلًا سياسيًّا قرب مشهد تتعرض -أيضًا- لمحاولات حثيثة من أجل العبث بها، وإخفاء الحقائق التي دفنت مع الضحايا فيها[٢].

○ اغتيال المثقفين:

الاغتيالات التي تعرض لها المثقفون والسياسيون الإيرانيون أكثر من أن يكون بمقدورنا حصرها! ذلك أن مسلسل استهداف هؤلاء بدأ مع وصول الخميني للحكم في نهاية السبعينيات من القرن الماضي وحتى الآن، إذ يبرز من هؤلاء: زعيم حزب الشعب الوطني داريوش فروهر، وزوجته براونة؛ اللذين قتلا عام (١٩٨٩م)، والكتاب مجيد شريف، ومحمد مختاري، ومحمد جعفر بونيده؛ الذين قُتلوا بصورة بشعة بأمر من سعيد إمامي -نائب وزير الاستخبارات السابق علي فلاحيان-، بالإضافة إلى الكاتب سعيدي سيرجاني؛ الذي قتل في السجن عام (١٩٩٤م)، والفنان الإيراني فريدون فرخ زاد؛ الذي كان يعتبر من وجوه الشاشة الإيرانية في عهد الشاه.

وفي مقال للكاتب التونسي العفيف الأخضر، نشر عام (١٩٩٩م) كشف فيه: أن عضو البوليس السري الإيراني «السافاك» الذي فرّ إلى ألمانيا محمد عامريان أكّد أنه بعد جمع المعلومات حكمت «اللجنة السرية» غيابيًّا على (١٨٠) مثقفًا بالإعدام؛ لاقترافهم جريمة «عدم التطابق مع النظام»!!

وفي دراسة للباحث المتخصص في الشأن الإيراني علاء إبراهيم حبيب؛ والتي جاء عنوانها: «نظام الملالي في إيران وجرائم

---

(١) http://cutt.us/g٠hvu

(٢) http://cutt.us/KxaVF

اغتيال المثقفين»[1] رصد خلالها الباحث أسماء العديد من المثقفين الإيرانيين الذين تعرضوا للاغتيال طيلة أكثر من (٣٥) عامًا، وخلال عهدي الخميني وخامنئي؛ فضلًا عن الفترات الرئاسية لكل الرؤساء الإيرانيين، وهي الجرائم التي قام بعض الباحثين والكتاب بتوثيقها في مؤلفاتهم، ومنها: كتاب «شهادات واقعية من داخل إيران» لعبد المنعم الجبيلي، وكتاب «الاغتيالات السياسية في إيران» للدكتور أحمد الشاذلي، وكتاب «الثورة البائسة» للدكتور موسى الموسوي.

ونقل الباحث عن دراسة نشرتها «صحيفة العرب» في (أكتوبر ٢٠١٦م) تحت عنوان: «التنوع العرقي في إيران مصدر أزمة»، أكد خلالها مدير حملة استقلال بلوشستان في إيران محراب سرجو: أنه خلال عام (٢٠١٦) قُتل نحو (٥٠) شخصًا عن طريق إطلاق النار على مختلف نقاط التفتيش الأمنية في بلوشستان، فيما أشار إلى أن ناشطًا من البلوش أخبره بأن كثيرًا من طلبة العلم البلوش يختفون في ظروف غامضة!

وحول عهد الخميني (١٩٧٩-١٩٨٩) أوضحت الدراسة: أن الخميني كان على شعبه أشد وطأةً وظلمًا من سلفه الشاه، وأن عدد الذين تم اغتيالهم من (١٩٧٩م) وحتى (١٩٨٨م) أكثر من خمسين ألفًا، من ضمنهم آلاف المثقفين.

ومن نماذج الضحايا: الأديب والشاعر الأحوازي نبي كريم هاشم النيسي، وهو من مدينة الحويزة التاريخية، حيث تم اغتياله بأوامر من الخميني، وقد نصب له كمين وهو في طريق عودته من أمسية شعرية أقيمت في جزيرة (صلبوخ).

وأوضحت الدراسة: أن هاشمي رفسنجاني (١٩٨٩-١٩٩٧) ركز على اغتيال رموز المعارضة الإيرانية خارج الحدود الإيرانية.

فيما باشر عهد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥) بدوره عمليات الاغتيال التي شملت المثقفين والسياسيين، فتم تصفية العشرات منهم، وهي العمليات التي عرفت آنذاك بـ «الاغتيالات المتسلسلة»، ومن بينهم: الكاتب والصحفي العربي الأحوازي يوسف عزيزي بني طرف.

ورأت الدراسة: أن عهد أحمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣م) هو عهد اغتيال الشعراء، إذ تمّ في مارس من عام (٢٠٠٨م) اغتيال ثلاثة شعراء عرب من الأحواز المحتلة في ليلة واحدة، هم: طاهر سلامي، وعباس جعاوله، وناظم هاشمي، بعد عقدهم أمسية شعرية في مدينة دينة معشور.

كما أنه وفي عام (٢٠١٢م) تم اغتيال الشاعر منان بن صياح -الذي اشتهر بقصائده الثورية-، وهو في الطريق إلى أمسية شعرية.

وبعدها بعام واحد تم اغتيال الشاعر سعيد جاسم عباس، بعد حضوره لأمسية شعرية في إحدى المدن الأحوازية.

أما عهد حسن روحاني -الذي يتولى الرئاسة الإيرانية منذ عام (٢٠١٣)-؛ فقد وصلت فيه عمليات الاغتيال السياسي إلى حد غير معقول؛ خاصة المثقفين في كل من العراق وسوريا واليمن ولبنان!

○ استهداف الدبلوماسيين:

ووصلت الدموية الإيرانية إلى حد استهداف الدبلوماسيين التابعين لبعض الدول التي تنظر إليها إيران كأعداء، فحاولت اغتيال السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير، في (الحادي عشر من أكتوبر عام ٢٠١١)، وهي المحاولة التي تم تسميتها في وسائل الإعلام: «بمؤامرة الاغتيال الإيرانية»، و«مؤامرة إيران الإرهابية»، في حين سمى مكتب التحقيقات الفيدرالي المؤامرة: بـ «عملية التحالف الأحمر».

وتم بعد إجهاضها القبض على المواطنين الإيرانيين غلام شكوري ومنصور أربابسيار، واتهامها من قبل المحكمة الاتحادية في نيويورك بالتآمر لاغتيال السفير السعودي عن طريق تفجير المطعم المتواجد فيه، وبعد ذلك التوجه للسفارة السعودية

(١) http://akhbar-alkhaleej.com/news/article/١٠٤٨٣٠٦

وتفجيرها -أيضًا-، فيما اعترف المتهمان بأنهما خططا بالفعل لتفجير السفارة السعودية.

وكانت إيران تسعى من وراء هذه العملية -ووفق تقارير إعلامية وقتها- للعمل على تسريع وتيرة الثورة في البحرين بطرق تمت مناقشتها ووضعها في قمة أولويات لجنة خاصة تنسيقية، برئاسة علي أصغر حجازي، وتحت إشراف المرشد الأعلى علي خامنئي، فيما أن مخطط الاغتيال كان بمباركة وموافقة علي خامنئي نفسه.

أما السبب الآخر فهو: أن الجبير كان يتنقل يوميًّا بين أروقة الكونجرس الأمريكي والدوائر الحكومية مثل: وزارة الخارجية، ومجلس الأمن القومي؛ لإطلاعهم على ما يحدث في سوريا[١].

وبالطبع ليست محاولة اغتيال الجبير هي المحاولة الأولى أو الوحيدة؛ فقد تم الكشف مرارًا عن تورط إيران في محاولات اغتيال دبلوماسيين سعوديين وغيرهم، ضاربة عرض الحائط بكل الأعراف والقوانين الدولية التي تشدد على الحفاظ على حياة الدبلوماسيين والسفراء والبعثات والمقرات الدبلوماسية!

ومن أمثلة هذه المحاولات: محاولة اغتيال السفير السعودي في العراق ثامر السبهان، على يد عناصر تتبع لميليشيات عراقية طائفية كـ «عصائب أهل الحق» و«كتائب خراسان»، ومحاولة اغتيال (٤) دبلوماسيين سعوديين في تايلاند وهم: عبد الله المالكي، وعبد الله البصري، وفهد الباهلي، وأحمد السيف، في الفترة من (١٩٨٩-١٩٩٠)، وكذلك محاولة اغتيال الدبلوماسي السعودي حسن القحطاني في مدينة كراتشي عام (٢٠١١م)، واختطاف وقتل عدد من الدبلوماسيين الأميركيين في لبنان عام (١٩٨٩م)، ومحاولة اغتيال مسؤولين ودبلوماسيين أميركيين في باكو -عاصمة أذربيجان- عام (٢٠١٢م)، وغير ذلك من عشرات حوادث الاعتداء على السفارات والدبلوماسيين الأجانب.

○ القتل المعنوي:

ولم يكن الاغتيال الجسدي وحده هو وسيلة الملالي لفرض السيطرة على الشعب الإيراني، بل لجأ الملالي -أيضًا- إلى القتل المعنوي كوسيلة للتعامل مع الرفقاء الذين تجرؤوا يومًا على أن يتخذوا مواقف أو يتبنوا آراء تختلف عن تلك التي يجب أن يلتزموها!

وقد طال هذا السلوك السياسيين والعلماء والفنانين؛ وحتى المعممين من علماء الدين الشيعة، بل وأحيانًا مَن هم برتب علمية أعلى من خامنئي نفسه! والذين تعرض بعضهم بالفعل لاغتيال جسدي، فيما تعرض آخرون لاغتيال معنوي؛ حيث فُرضت عليهم الإقامة الجبرية؛ فمنهم من مات، ومنهم من بقي في السجن حتى اللحظة مثل: المرجع كاظمي بروجردي؛ الذي مضى عليه ثماني سنوات في السجن، ومورس ضده أنواع التعذيب النفسي والجسدي بوضعه في الزنزانات الانفرادية، ومنع الدواء والعلاج عنه، مما تسبب له بالعديد من الأمراض، فيما منع من حضور دفن والدته التي توفيت كمدًا عليه[٢].

ويبرز من السياسيين الذين هم أبناء المؤسسة الحاكمة في إيران وإن حُسبا على ما يسمى بـ (التيار الإصلاحي) كل من: مير حسين موسوي، ومهدي كروبي؛ اللذين يخضعان للإقامة الجبرية منذ ست سنوات، عقابًا لهما على تشكيكهما بنتائج الانتخابات التي خاضاها ضد أحمدي نجاد عام (٢٠٠٩)، ومشاركتهما في الاحتجاجات على خلفية هذه الانتخابات، وهي العقوبة التي اعتبرها البعض رأفة بهما! إذ كان يمكن أن يعدما بتهمة الفتنة.

وبالطبع؛ فإن ما تعرض له موسوي وزوجته -زوجته زهراء رهنورد-، ومهدي كروبي هو شكل من أشكال الاغتيال المعنوي؛ إذ توارد أن شرط النظام الإيراني لكي يرفع عنهما الإقامة

---

(١) http://cutt.us/yZJhH

(٢) http://elaph.com/Web/opinion/٢٠١٥/١/٩٧٦٠٦٧.html

الجبرية هو: إعلانها صراحة الانسحاب من الحياة السياسية، وهو ما يعني: الخيار بين استمرار حبسهما حتى الموت أو نهايتهما سياسيًّا.

ومن النماذج البارزة -أيضًا- للاغتيال المعنوي: المعمم حسين علي منتظري؛ والذي كان قد تم انتخابه نائبًا للولي الفقيه بعد الثورة، ولكن تم عزله بسبب معارضته للإعدامات في إيران عام (١٩٨٨)، فظل مهمشًا حتى حُكم عليه في عام (١٩٩٩) بالإقامة الجبرية في منزله بمدينة قم، وذلك بسبب نقده اللاذع للمرشد الحالي، إلى أن رفعت عنه بعد خمسة أعوام.

○ القتل خارج الحدود:

منذ اللحظة الأولى لانتصارها لم يتردد قادة الثورة الإيرانية في الإعلان عن رغبتهم في تحقيق ما أسموه بـ «تصدير الثورة»، ومن ثم فإن مشروع هذه الثورة ليس مشروعًا استبداديًّا فحسب، وإنما هو -أيضًا- مشروع توسعي، وهو الأمر الذي دفعها إلى أن تتخذ حزمة من الإجراءات تتجاوز حدودها؛ فشملت هذه الإجراءات -أيضًا- آلتها الدموية وقرارات الاغتيال السياسي التي استهدفت الكثيرين؛ سواء من الإيرانيين المقيمين خارج إيران والذين باتوا وفق تصور قادة الثورة يمثلون خطرًا على الثورة؛ بنشاطهم وجهدهم لفضح الانتهاكات وواقع الأوضاع في إيران، أو من غير الإيرانيين الذين يمثلون للثورة عقبات لتحقيق التمدد أو نشر أفكار الملالي الجديدة.

ومن النماذج الإيرانية التي تعرضت للاغتيال في الخارج يبرز: الدكتور كاظم رجوي -شقيق مسعود رجوي، زعيم منظمة مجاهدي خلق الإيرانية-؛ والذي تم اغتياله بتوجيه من الرئيس رفسنجاني في سويسرا عام (١٩٩٠)، وبفتوى صادرة عن الخميني عام (١٩٨٦م)، وكذلك: ممثل المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية في روما محمد حسين نقدي؛ الذي كان قبل الالتحاق بالمقاومة سفير إيران في إيطاليا، حيث تم اغتياله بعد الدكتور كاظم بثلاثة أعوام.

وفي عام (١٩٩٦) تم اغتيال: السيدة زهراء رجبي -القيادية في حركة مجاهدي خلق في اسطنبول-، هذا بالإضافة إلى العشرات من أعضاء حركة مجاهدي خلق الذين تم اغتيالهم في العراق وباكستان وتركيا.

وفي تصريحات لزعيمة المعارضة الإيرانية مريم رجوي نشر في تقرير أعده موقع «إيران بلا أقنعة» أكدت رجوي: أن الاستخبارات الإيرانية بين عامي (١٩٨٧ و١٩٩٣) اغتالت معارضين في المدن التالية: دبي، هامبورغ، فيينا، جنيف، لندن، لارنكا، باريس، برلين، روما، كما أن التحريات التي أجرتها الأجهزة الأمنية في تلك الدول كشفت عن وجود آثار مشابهة في عدة حالات.

ولا يمكن هنا تجاهل ما تعرض له عناصر منظمة مجاهدي خلق المقيمين في العراق، والذين كانوا يقيمون في مخيم أشرف؛ حيث بدأ مسلسل التنكيل بهم منذ عام (٢٠٠٩) إلى أن تم ترحيلهم عن العراق.

كما طالت قرارات الاغتيال السياسي -أيضًا-: شابور بختيار؛ والذي تولى رئاسة وزراء إيران في (٤ يناير ١٩٧٩) وحتى (٥ فبراير ١٩٧٩)، ليكون آخر رئيس وزراء قبل ثورة الخميني، غير أنه وبعد قيام الثورة هرب إلى باريس، ليشكل في منفاه جبهة المقاومة الوطنية في إيران (NAMIR)، المعارضة لنظام الملالي، فتم آنذاك اغتياله من قبل حرس الثورة الإيراني.

ومن أشهر الاغتيالات التي نفذت بحق المعارضين الإيرانيين خارج البلاد: تلك التي طالت الزعيمين الكرديين الإيرانيين: عبد الرحمن قاسملو في النمسا، وصادق شرفكندي واثنين من رفاقه في برلين بألمانيا، حيث أكّدت صحيفة «إلموندو» الإسبانية عام (٢٠٠٥م) ونقلًا عن صحفي إيراني -كان على صلة بجهاز المخابرات الإيراني وهرب إلى فرنسا-: أن الرئيس أحمدي نجاد متورط في اغتيال القيادات الكردية الإيرانية عام (١٩٨٩) في فيينا.

وتعد المحاولة الفاشلة لاغتيال أمير الكويت الشيخ جابر

الأحمد الصباح عام (١٩٨٥) هي المحاولة الأشهر للاغتيال السياسي، بقرار من السلطة الإيرانية لشخصية غير إيرانية، والتي تمت عندما كان الشيخ جابر الأحمد في طريقه للذهاب إلى مكتبه في قصر السيف، عن طريق سيارة مفخخة، غير أنه نجا منها، فيما قُتل في تلك العملية اثنان من مرافقيه.

ويرى البعض أن هذه المحاولة التي نفذها عضو «حزب الدعوة الإسلامية» العراقي جمال جعفر علي الإبراهيمي والمعروف باسم (أبو مهدي المهندس) جاءت على خلفية موقف الكويت من حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق؛ حيث أيدت الكويت العراق في الحرب.

المرأة وتناقضات الحداثة

فاطمة عبد الرؤوف - كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

يروّج الكثير من مثقفينا لمشروع الحداثة باعتباره المشروع الذي انتقل بأوربا من عصورها الوسطى المظلمة لعصر الأنوار! ويرون أن الخروج من حالة التخلف الاقتصادي والحضاري لا يكون إلا باتباع خطوات التحديث الغربية، وفي قضية المرأة تحديدًا يتم التبشير بقيم الحداثة باعتبارها المخلص الذي سيرفع عن كاهل المرأة المظالم التي تعيشها على المستوى الخاص والعام.

هذا الترويج للمشروع الحداثي ليس جديدًا؛ فقد شهد القرن العشرين الكثير من المعارك الفكرية الشرسة والصريحة من أنصار مشروع الحداثة والتنوير، ويكفي في هذا الصدد أن نذكّر بالمقولة الشهيرة التي أطلقها الدكتور طه حسين: «السبيل إلى ذلك -أي: إلى النهضة والحداثة- ليست في الكلام يُرسَل إرسالًا، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بيّنة مستقيمة ليس فيها عِوَجٌ ولا التواء، وهي واحدةٌ فَذَّةٌ ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاءَ في الحضارة؛ خَيْرِها وشَرِّها، حُلْوِها ومُرِّها، وما يُحَبّ منها وما يُكْرَه، وما يُحْمَد منها وما يعاب»[1].

وأول ما حاولوا السير على طريق الأوربيين كان ذلك في مجال الحياة الاجتماعية والأسرية وقضايا المرأة في المجتمع.

وإذا كان القرن العشرين شهد جدلًا ساخنًا لتغيير وضع المرأة كي تسير على طريق الأوربيات في الحداثة، وهو ما تجلى في كتاب قاسم أمين «المرأة الجديدة»، أي: المرأة الحداثية؛ فإنه قد شهد -أيضًا- بدء أهم تطبيقات الحداثة وهي: القطيعة مع التراث، وهو لفظ فضفاض يشمل الكثير من الملفات على رأسها: الدين.

ففي مجال وضعية المرأة في الدين الإسلامي جاء مؤلَّف منصور فهمي «أحوال المرأة في الإسلام» كمحاولة تفكيكية منه لمنهجية الإسلام في التعامل مع المرأة، وعلى الرغم أن المؤلف كتب بالفرنسية وتحت إشراف المستشرقين، ومنع لفترة طويلة من الترجمة للعربية؛ إلا أنه وعلى المستوى الفكري أكثر خطورة بكثير مما كتب قاسم أمين الذين انتقد العادات والتقاليد، بينما صوّب منصور فهمي مدافعه وبشكل مباشر للدين ذاته وبصراحة تامة!

تصدّت التيارات الإسلامية بمدارسها المختلفة لكشف عوار الحداثة، وللدفاع عن منهجية الإسلام في التعامل مع القضايا الاجتماعية وقضايا النساء، لكن وبالتأكيد فالمعركة لم تكن سهلة، فبينما انحازت القاعدة النسائية العريضة للمشروع الإسلامي؛ على تفاوت في ذلك بين البلدان المختلفة وتفاوت -أيضًا- في المراحل التاريخية.

فبينما شهدت بداية القرن: تمسك النساء بالدين بطريقة تقليدية ترتبط كثيرًا بالعادات والأعراف، ربما لضعف التعليم الذي كانت تتلقاه النساء عمومًا، واستطاع تيار الحداثة أن يفرض

(١) «مستقبل الثقافة في مصر»، د.طه حسين.

أجندته في أواسط القرن المنصرم بعد أن استطاع رواده -كأحمد لطفي السيد ومصطفى فهمي وطه حسين- من الإمساك بمقود التعليم، وتوجيه الوعي النسائي (مع عدم إغفال دور ونشاط الحركات النسوية بالطبع).

وشهدت نهايات القرن معارك حامية الوطيس بفعل عولمة الحداثة، فأصبحت هناك المؤتمرات الأممية النسوية؛ كمؤتمر (بكين) وتوابعه، وأصبحت ثمة وثائق أممية ملزمة للدول؛ كاتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو» وما تلاها.

ولا يمكن إغفال الدعم المادي اللامحدود الذي تلقته مؤسسات ومنظمات المرأة الحداثية من الولايات المتحدة ومن الاتحاد الأوربي.

ولكن المفارقة الواضحة في نهايات هذا القرن: أن القاعدة النسائية المتعلمة الواعية اختارت -وبعيدًا كل البعد عن العادات والتقاليد، وبطريقة حرة تمامًا- المنهج الإسلامي بشموله وتكامله ووسطيته.

وعلى الرغم من ذلك؛ واصل أنصار الحداثة في بلادنا التكريز باسمها، ولم يتقبلوا الهزيمة أو الرفض الشعبي لمشروعهم؛ خاصة في الأوساط النسائية، ولعل السبب الرئيس في ذلك: أنهم ليسوا وحدهم في هذه المواجهة، فالنظام العالمي الجديد الذي يتشكل يدعم بكل قوة هؤلاء المثقفين الذين يبشرون بأطروحته، والذين لا يجدون غضاضة في الاستقواء بهم والاستعلاء على القاعدة الجماهيرية وخياراتها، وهو تناقض حاد بين الممارسة والتنظير.

والحقيقة: أن المشروع الحداثي التنويري بوجه عام وفيما يتعلق بقضايا النساء بوجه خاص: يعتريه الكثير من التناقضات مع الحداثة والأسس التي تقوم عليها!!

وتدور السطور القادمة لبيان التناقضات فيها مع إسقاط وتطبيق ذلك على قضايا المرأة:

▣ الحداثة:

على الرغم من أنه ليس هناك تعريف ثابت وواضح تمام الوضوح لمصطلح الحداثة؛ حيث «يأخذ مفهوم الحداثة (La Modernité) مكانه اليوم في حقل المفاهيم الغامضة.

وإذا كان هذا المفهوم يعاني من غموض كبير في بنية الفكر الغربي الذي أنجبه، فإن هذا الغموض يشتد في دائرة ثقافتنا العربية، ويأخذ مداه ليطرح نفسه إشكالية فكرية هامة تتطلب بذل مزيد من الجهود العلمية لتحديد مضامينه وتركيباته وحدوده»[1].

وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من كثرة تعريفات الحداثة إلا أن مجموعها قد يعطينا تصورًا تقريبيًّا للمقصود بالحداثة؛ فمثلًا: «يرى كل من كارل ماركس، وإميل دوركهايم، وماكس فيبر: أن الحداثة تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن، وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات.

وتتمثل الحداثة -كما يحددها جيدن- في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة؛ حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي.

فالحداثة تتميز بأنماط وجود وحياة وعقائد مختلفة كليًّا عن هذه التي كانت سائدة في المراحل التقليدية؛ حيث عرفت التغيرات التي شهدتها الحداثة بطابع التسارع والتنوع والشمول، ولا سيما في مجال التكنولوجيا والمعرفة العلمية التكنولوجية، كما عرفت هذه المرحلة -أيضًا- بتنامي الاتصالات الفعالة بين جوانب الحياة الإنسانية؛ حيث شملت الأقاليم والمناطق المتباعدة في جغرافية الكون.

وهذه هي المرحلة التي حدثت فيها تحولات جوهرية في عمق المؤسسات على مدى تنوعها، وقد سمحت هذه التحولات والتغيرات الجوهرية في شروط الوجود للناس من

(١) «مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة»، علي وطفة.

السيطرة على مقدرات وجودهم وشروط حياتهم»[1].

بعيدًا - إذن - عن الجدل الفلسفي لتحديد تعريف للمصطلح يمكننا أن نناقش أهم أسس الحداثة كما أجمع عليها المفكرون والفلاسفة، وهي:

○ تأليه العقل:

ليس من المبالغة في شيء القول بأن المشروع الحداثي يقوم على تأليه العقل الإنساني؛ بجعله حكمًا مطلقًا، وإذا كانت الحداثة ترفض الدين وأحكامه وتسخر منه؛ فإنها قامت باستبدال العقل بالإله، وأحكام العقل بأحكام الإله!

والحداثيون العرب في معظمهم لا يصرّحون برفض الدين، وإنما يوجهون سهام نقدهم للفقهاء وعلماء الدين؛ الذين يطلقون عليهم: رجال الدين.

وهؤلاء الحداثيون جعلوا من العقل - عقلهم - سلطة أعلى من النص ومهيمنة عليه، ومن المعلوم أنه لا تعارض بين الإسلام والعقل، وقد ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا ضخمًا بعنوان: «درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، أثبت فيه أنه لا يمكن تعارض صحيح النقل مع صريح العقل.

فالتزييف أو التناقض الذي يقع فيه الحداثيون العرب: أنهم يسقطون الترهات التي أدخلها رجال الدين المسيحي على المسيحية، وجعلوا منها ديانة لا عقلانية على الإسلام حتى يستطيعوا خداع الجماهير، وهذا نموذج يوضح مدى التجني والكذب والتزييف الذي يشوه به الحداثيون العرب الإسلام، وكيف يتم إسقاط ذلك كله على قضية المرأة تحديدًا؟!

ولنتأمل في كلمات الدكتورة التونسية رجاء بن سلامة لنرى كمّ الهذيان والتزييف والكذب في تشويه صورة الإسلام، وكيف ربطت كل ذلك بقضية المرأة، وكيف داست على قيم الحداثة ذاتها في الاختلاف والتمايز! حيث تقول: «نستعمل أحدث الأجهزة ووسائل الاتصال، ونتمسك على نحو هذياني بأنماط علائقية عتيقة عن الفرد والأسرة والعلاقة بين النساء والرجال.

نستعمل الانترنت لنشر فتاوى تحرّم القول بكروية الأرض ودورانها حول الشمس، أو لنشر فتاوى تدعو المرأة إلى الحجاب، بل إلى النقاب وانعدام الوجه.

أو على نحو آخر: نتمسّك بالنّموذج الدّيمقراطيّ لنطالب بحقّ المرأة في أن تكون محجّبة، ونحوّل الحفاظ على اللاّمساواة بين النّساء والرّجال إلى حقّ في الاختلاف»[2].

هكذا بكل وقاحة! أسقطت الدكتورة رجاء أفعال الكنيسة على الإسلاميين!! الكنيسة التي تبنّت القول بأن الأرض مسطحة وليست كروية، وكانت تروج لهذا، وكان المُعارض لهذا الفكر يتعرض للتعذيب على الخازوق أو الحرق حيًّا، بتهمة الهرطقة؛ حيث أعدمت (برونو) حرقًا، وسجنت (جاليليو) حتى استسلم وتخلى عن آرائه، لكن ذلك أصبح فتاوى الإسلاميين على الشبكة العنكبوتية!

ثم وضعت القول بتسطيح الأرض في كفة واحدة مع حجاب المرأة، وكأن الذي يقول بالحجاب لا بد أن يؤمن بأن الأرض مسطحة؟!

وهذا مجرد نموذج واحد للتلاعب بالعقل من دعاة الحداثة.

وفي هذا السياق لا يمكن أن نتجاهل التناقض في الحداثة الغربية التي تقوم على أنقاض الدين، وفي الوقت ذاته تحمل الإرث الصليبي كاملًا، بل إن التيار اليميني في الولايات المتحدة - مثلًا - يضع أساطير الصهيونية المسيحية في مرتبة أعلى من العقل النفعي الذي يبشروننا به!

---

(١) «مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة»، علي وطفة.

(٢) (المرأة والحداثة والتفكيك والجندر في العالم العربي في حوار مع د. رجاء بن سلامة)، موقع «الحوار المتمدن».

○ القطيعة مع التراث:

القطيعة مع التراث وتفكيكه والثورة عليه هو: الركيزة الثانية للحداثة.

إنهم لا يريدون تنقية التراث من العادات والتقاليد الباطلة، بل يريدون القطيعة معه، وتفكيكه ثم نسفه «يرى ناصيف نصار في مجال التمييز بين الحداثة والتقليد «أن الحداثة هي: المفهوم الدال على التجديد والنشاط الإبداعي، فحيث نجد إبداعًا نجد عملًا حداثيًّا.

وبهذا المعنى فإن الحداثة: ظاهرة تاريخية إنسانية عامة، نجدها في مختلف الثقافات.

وتتحدد الحداثة في هذا المعنى بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بـ (التقليد أو التراث أو الماضي)، فالحداثة هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد»[١].

والحداثيون العرب يرون أن فكر النهضة كان «حداثة متعثّرة باهتة، لأنّ النّهضة كانت عودة وإحياء، ولم تكن خروجًا ووعيًا بضرورة الخروج والقطيعة.

وهذا ما جعل فكر النّهضة ينتج: توليفات باهتة، وإجابات مأساويّة في تردّدها، أهمّ مثال عليها: قضيّة المرأة، فالكثير من روّاد النّهضة دعوا إلى تعليمها وخروجها من الحجاب، ولكنّهم حافظوا على كتل أساسيّة من كتل التّقليد، أهمّها: مبدأ قوامة الرّجال على النّساء، وهو مبدأ ما زال إلى اليوم يهيمن على أغلب المنظومات القانونيّة العربيّة؛ في جانب الأحوال الشّخصيّة منها خاصّة، وما زال يهيمن على تصوّراتنا للشّرف والأخلاق»[٢]، ما لم يستطع الحداثيون الأوائل قوله في بدايات القرن العشرين.

بل إنهم أصروا بإلحاح على رفضه لم يكن إلا كذبًا، تمهيديًّا لمرحلة الصراحة المطلقة، مرحلة القطيعة الكاملة، وإسقاط ذلك على قضية المرأة يعني: التخلص من الحجاب، القوامة، الميراث، العفة والشرف.

كتابات حداثية كثيرة اليوم تتحدث عن القطيعة مع الدين، وتبني نمط الحياة الاجتماعي في الغرب، لكن نمط الحياة الغربي الحداثي يحمل تناقضات كثيرة ليس على مستوى العامة من الناس فحسب ولكن على مستوى النخب المنظرة له، وإلا كيف نستطيع فهم كلمات سيمون دي بوفوار -رمز الحداثة الغربية- خاصة فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي، وهي تعلن استعدادها لممارسة كل الأدوار التقليدية للمرأة، فـ «بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيلها، نشرت الصحافة الفرنسية مراسلاتها مع عشيقها الأميركي نيلسون الغرين، في إحدى رسائلها إليه تبدي رغبتها العارمة بالالتحاق به، وبالزواج منه، مقدمة إليه أقصى خضوع ممكن لامرأة من أوروبا أو من الغرب.

فقد كتبت إليه بعد عودتها من الولايات المتحدة إلى فرنسا: "إني مستعدة لأن أطبخ لك يوميًّا، وأن أكنس المنزل، وأغسل الصحون. أريد أن أكون لك زوجة عربية مطيعة"»[٣].

○ الحداثة والحرية:

لعلها أشهر أسس الحداثة: تلك الحرية.. حرية التفكير، حرية المعتقد، حرية السلوك، وكثيرًا ما استخدم الحداثيون العرب هذا السلاح لإرهاب الآخر، وقاموا بتمجيد الحرية كأنهم وحدهم من له الحق في اعتبار الحرية أساسه المتين!

وهو ادعاء مزيف! فقد قامت الحضارة الإسلامية على مبدأ (لا إكراه في الدين)، وعلى مستوى قضية المرأة: منحها الإسلام الحرية المطلقة في كل ما يخصها وحدها؛ كذمتها المالية

---

(١) «مقاربات في مفهوي الحداثة وما بعد الحداثة»، علي وطفة.

(٢) (حوار د. رجاء بن سلامة).

(٣) «الحياة السرية لمفكرين وفلاسفة: صراع اتوجنسو خيال اتمازوشية»، متعب القرني، «مجلة الفيصل».

-مثلًا-، أما فيما يشترك معها فيه آخرون فلا بد -أيضًا- من مراعاة حقوق الآخرين.

فالحريـة المطلقـة في هـذه الحالـة هـي: ضرب مـن الفوضى!!

المشروع الحداثي ضربه التناقض بأبشع صوره في مبدأ الحرية هذا بالذات، وإلا فبمَ نفسر رفض الكثير من الدول الأوربية، وعلى رأسها: فرنسا؛ لارتداء المسلمات الحجاب في المدارس والأماكن العامة، أليست حرية اللبس حرية شخصية؟! بل ربما تكون أولى الحريات الشخصية.

هذا التناقض القبيح وراؤه فلسفة إقصائية استعلائية بالغة التناقض «لا أرى معنى لحرّيّة المرأة في اختيار قيدها، كما لا أرى معنى في حقّ الإنسان في بيع جسده -مثلًا-.

المرأة التي تبيع جسدها لا حرّيّة لها ولا كرامة، ولا يمكن للمثقّف أن يدافع عن حقّها في هذه العبوديّة، والمرأة المحجّبة امرأة تستبطن القيم العتيقة التي تعتبر المرأة آثمة إلى أن تثبت العكس، وتعتبرها حريمًا ممنوعًا.

ولذلك فلا أرى معنى للدّفاع عن هذا الحقّ، حقّ المرأة في هذا الاستثناء التّمييزيّ.

ثمّ إنّني لا أعتبر الحجاب لباسًا، بل شطبًا لجسد المرأة! الدّليل على ذلك: أنّ أشكاله وأنواعه تتعدّد، ولكنّ المهمّ فيه هو: وظيفة التّغطية والمنع التي يؤدّيها.

وفيما يخصّ استصدار القوانين، أقول: إنّ ما حقّقته المرأة من مكاسب يجب المحافظة عليه، وقد أثبتت التّجربة أنّنا نحتاج إلى قوانين لحماية الفئات المستضعفة.

نحتاج -مثلًا- إلى قوانين تحمي الطّفلات من العنف الذي يسلّطه عليهنّ الآباء عندما يفرضون عليهنّ الحجاب، ويمنعونهنّ من حرّيّة الحركة واللّعب، ويفرضون عليهنّ قبل الأوان ما لا طاقة لهنّ به.

نحتاج إلى قوانين تحمي النّساء من عنف إكراههنّ على الحجاب»[1].

هذا الخلط المقصود بين التعالي على المرأة المحجبة بكامل اختيارها، واعتبارها على نحو ما تشبه من باعت جسدها، وبين إكراه الطفلات على الحجاب هو: خلط مقصود ومتعمد؛ حتى تبقى شبهة حماية الحرية الشخصية المفرغة من كل معنى هنا، وإكراه الجميع على التبرج هو عين التناقض في هذا المشروع الحداثي التنويري!

فلا حرية إلا لمن يمتلك نفس الأفكار؛ أما المخالف فمكانه النفي أو السجن.

وهو أمر ينطبق على قضايا كثيرة غير قضية المرأة؛ كحرية التعبير عندما تخالف معتقدات القوم؛ كما حدث للفيلسوف رجاء جارودي -مثلًا-، إنها الحرية العرجاء للمنظومة العرجاء.

▣ المرأة والحداثة:

هل حقق مشروع الحداثة السعادة للمرأة الغربية أم زادت معاناتها وشقاؤها بهذا النمط من الحياة؟ هل حققت الرفاه المادي أم ظلت تعيش في ظل منظومة تأنيث الفقر وتأنيث المعاناة؟

«ويمكن الإشارة هنا إلى جذور ما يُسمى: ظاهرة «تأنيث الفقر» (feminization of poverty)؛ التي أصبحت ظاهرة اجتماعية معروفة في الولايات المتحدة، إذ يبدو أنه في إطار حرية المرأة وحرية الرجل يتعايش رجل مع امرأة تنجب منه طفلًا أو طفلين عادة دون أن يرتبطا بعقد زواج، وبعد فترة قصيرة أو طويلة يتملك الرجل الملل، وتنشب المعارك بين الطرفين؛ فيقرر الرجل أن يحقق ذاته خارج إطار الأسرة، فيحمل متاعه ويذهب، تاركًا الأم

---

(١) (حوار د. رجاء بن سلامة).

المهجورة وحدها ترعى الطفلين؛ فتزيد أعباؤها النفسية والاجتماعية والاقتصادية -مهما دفع الرجل من نفقة-، وازداد الرجال متعة وحركية استهلاكية.

أي: أنه تم تأنيث الفقر، ويمكن أن نضيف: أنه تم كذلك تأنيث الجهد النفسي والإرهاق البدني.

ولعل هذا من أهم الأسباب السوسيولوجية لزيادة معدلات السحاق في المجتمعات الغربية، فهو يحل في نظرها مشكلة ضرورة تفريغ الطاقة الجنسية للأنثى؛ دون أن يدخلها في دوامة العلاقة مع الرجل التي توردها موارد التهلكة والفقر والألم والهجران»[1].

ولم تحصل المرأة الغربية في ظلال مشروع الحداثة على المساواة في الأجور، ولا على الحماية من العنف الذي يمارس ضدها، ولا منع عنها التحرش في أماكن العمل، فعاشت حالة من الإحباط والفشل!

«**فتحولت إلى سلعة، إلى شيء يُستخدم لمن يدفع، أو لمن يخدع؛ فالأمر سيان!** يبقى فيها الرجل صاحب المتعة والامتياز والسيطرة ماديًّا وجسديًّا، كل ذلك في إطار عالم لمجتمع تطورت فيه التكنولوجيا والصناعة لتجعل الإنسان عمومًا، والمرأة على وجه الخصوص في معاناة واضطهاد أعلى، وأكثر تعقيدًا مما عاشته النساء في العهود السابقة، إذا ما قُورن العصر بخطاباته وادعاءاته حول مفاهيم التحرر، والديموقراطية، وحقوق الإنسان، وتحرر المرأة الاجتماعي والجنسي؛ مع بساطة وسذاجة خطابات العصور القديمة.

ويمكن تلخيص الواقع النسائي بالقول: إنه لم يسبق للمرأة أن كانت مسحوقة ومنهارة ومستعمرة وخامدة مثلما هي عليه الآن! ويمثل عصرنا أكثر العمليات دناءة في تاريخ المرأة!!

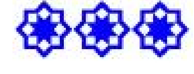
فهي بما تقدمه لها مجتمعات التكنولوجيا الحديثة، والتطور الاقتصادي، والحقوقي انخرطت في لعبة مضطهديها، فولجت إلى التمتع بمهارتها في استعراض رأسمالها الجسدي.

وفي ردها على ما يُوصف باضطهاد الذكورة، وبعد إشباع جنسي ميكانيكي لجسدها شرعت تبحث عن الجنسية المثلية نكاية بالرجل، أو بالاستعاضة عنه بالمنتجات البلاستيكية تمارس معها علاقة الانتقام من الرجل، بينما هي في الواقع تحط من قدر نفسها!

لقد اندفعت النساء إلى «الاسترجال»، وكلما أردن أن يكنَّ كالرجال ابتعدن عن أنوثتهن، فإنهن عاجزات عن تصور أن الأنوثة -والمرأة- يمكن أن تكونا مزيتين.

إنهن رجال خائبون ونساء فاشلات ويتعرضن إلى خطر.. يائسات ودون هدف، في متاهات الشعور بالدونية»[2].

إنها ببساطة.. الحداثة وتناقضاتها؛ التي أتعست المرأة، وهي توهمها أنها تسير على طريق السعادة!!



---

(١) «قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى»، د. عبد الوهاب المسيري.

(٢) «المرأة والحداثة من الاضطهاد إلى الاستلاب»، مصطفى الولي.



دور إيران في فلسطين
بين الدوافع والنتائج

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا الكتاب يعالج قضية ساخنة على الساحة السياسية ومتجددة، وهي: حقيقة دور إيران في فلسطين، وهل إيران جادة وصادقة في دعم قضية فلسطين أم هي شماعة لتمرير أجندة إيران في المنطقة وفلسطين؟

يقدم المؤلف بلال وليد حمدي عابدين رؤيته في دور إيران في فلسطين من خلال فصول هذا الكتاب الصغير الذي يقع في (١٣٤) صفحة، وبدون دار نشر.

ينطلق أ. بلال من بدء انتشار التشيع في فلسطين بحسب شهادة د. صالح -وكيل وزارة الأوقاف الفلسطينية بغزة سابقًا، والقيادي المعروف في حركة حماس-، ليدلل على خطورة المشروع الصفوي في المنطقة، وأن هذا المشروع لم يعد خيالًا أو وهمًا، وأن تعرية الباطل مطلب شرعي.

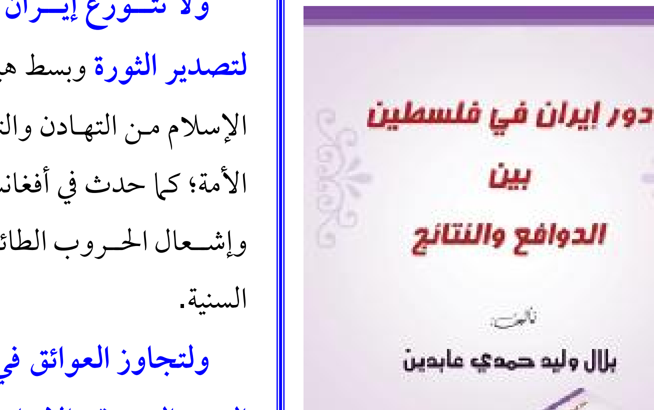
جاء الفصل الأول: للتعريف بدولة إيران:

ففي المبحث الأول: تناول تسميتها، وموقعها، ومساحتها، ثم حالة أهل السنة فيها.

وفي المبحث الثاني: تناول قضية تصدير الثورة في فكر ملالي إيران، والذي ضمّنوه في دستورهم.

ويوضح المؤلف: أن تصدير الثورة يعني: محاربة مَن ليس شيعيًّا من المسلمين ليتشيع، وأن إيران أسست الميلشيات الطائفية في إيران وخارجها من أجل هذه الغاية.

وأن أدواتهم في تصدير الثورة: تتراوح بين توظيف القوة المسلحة، والخطاب الحماسي الموجّه، والصفقات الاقتصادية، والمنح الدراسية.



ولا تتورع إيران في الوصول لتصدير الثورة وبسط هيمنتها على دول الإسلام من التهادن والتآمر مع أعداء الأمة؛ كما حدث في أفغانستان والعراق، وإشعال الحروب الطائفية في الدول السنية.

ولتجاوز العوائق في وجه تصدير الثورة الشيعية والإيرانية والتي تتمثل في رفض الهيمنة الفارسية والشيعية من قبل الشعوب والدول، ومعارضة الأطماع الأمريكية في المنطقة؛ تلجأ إيران لكسب الشعوب لصالحها؛ من خلال تبني الشعارات البراقة: (الممانعة، والمقاومة، والوحدة الإسلامية، ومقاومة أمريكا)، مما يحدث اصطفافًا بين الشعوب وحكوماتها، أما الأطماع الأمريكية فقد ساوم الملالي الغرب على الحصص؛ كما حصل في الاتفاق النووي.

أما الفصل الثاني: الذي يبيّن الدوافع الإيرانية تجاه التلاعب بالقضية الفلسطينية، فقد تضمن ثلاثة مباحث:

الأول: تناول القضية الفلسطينية في السياسية الإيرانية، والتي تدرك أنها رافعة مهمة لها بين الشعوب العربية والإسلامية، فمنذ سنة (١٩٧٩) أعلن الخميني أنه «لا قيمة لسياساتنا إذا لم يكن لنا يد في القضية الفلسطينية»، وسار على نفس النهج حزب الله اللبناني، وقد تسبب ذلك في حصول الحزب على شعبية كبيرة في الشارع العربي والإسلامي، وكذلك استفاد النظام السوري من استضافة قادة حماس ليحصل على شعبية كبيرة، ويتمّ تجاهل هويته النصيرية الطائفية.

في المبحث الثاني: تناول الباحث الأهداف من زعم إيران دعم القضية الفلسطينة، وأنها: الرغبة بعودة الأمجاد الأمبراطورية لفارس، ونشر التشيع، وتوسيع النفوذ، وتسهيل بناء التحالفات، وحماية مصالحها السياسية؛ من خلال التلاعب بالورقة الفلسطينية، وكسب التعاطف العربي والإسلامي الذي يمهد لها قيادة العالم الإسلامي، وهو الحلم الأكبر الذين تسعى له!

في المبحث الثالث: تناول وضع التشيع في فلسطين قديمًا وحديثًا، حيث أن فلسطين بلد سني فتحه الفاروق عمر بن الخطاب؛ عدو الشيعة الأول! وكان جزءًا من بلاد الشام الأموية التي يناصبها الشيعة العداء.

ولم تَعرف فلسطين التشيع إلا على يد دولة العبيديين الفاطميين بشكل مؤقت، حتى هدمها صلاح الدين، فاندثر التشيع من مصر وفلسطين، وبقي في بعض جبال لبنان، ومع ضعف الدولة العثمانية ظهرت جيوب شيعية في فلسطين تصدى لها الولاة والحكام.

أما في عصرنا الحاضر؛ فقد كان لقيام دولة الخميني دور في انخداع بعض الفلسطينيين بالتشيع وتبنّيه، ثم جاء دعم إيران لبعض الشخصيات والفصائل في تسهيل تكوين جيوب للتشيع في فلسطين.

وقد استخدمت إيران وسائل عدة من أجل هذا الاختراق: من تقديم المساعدات والإغاثات والتمويل، ونشر الكتب والمجلات، وتأسيس جمعيات موالية لها؛ كجمعية «الغدير» في بيت لاهيا بغزة، وتبني بعض الفصائل الفلسطينية؛ كتنظيم الجهاد.

وجاء الفصل الثالث: ليعرض النتائج التي حققتها إيران من خلال اختراقها للساحة الفلسطينية، بدايةً تناول العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، فبرغم أن «منظمة التحرير» لها يد الفضل على الثورة الخمينية بتدريب أفرادها ودعمهم ورعاية نشأة «حركة أمل»، وكون ياسر عرفات أول الواصلين لطهران لتهنئة الخميني بالثورة؛ إلا أن الخميني حاول تسخير المنظمة لتمرير مخططاته الطائفية في إيران، ولتأييده في حرب العراق، ومع رفض المنظمة لذلك هاجمتها إيران ودعمت المنشقّين على عرفات.

وسعت إيران لمد الجسور مع العديد من الفصائل الفلسطينية مثل: «الجبهة الشعبية»؛ التي لا تزال لليوم تخدم إيران، و«كتائب الأقصى» التي تعاونت مع إيران ثم انقطعت الصلة بينهما، وبعض الفصائل الصغيرة.

المبحث الثاني هو: للعلاقة مع حركة الجهاد، حيث أيّد قادة الجهاد الخميني منذ اللحظة الأولى، وتجاوزوا البعد العقدي الشيعي في فكره، وقد نمت الجهاد بفضل الدعم الإيراني؛ حتى تشيّع عدد من قادتها، وتُلقى عليها التبعة في انتشار التشيع في فلسطين في العصر الحاضر.

وتقوم الحركة برعاية بعض المناسبات الإيرانية في غزة؛ كيوم القدس، والتعاون مع المؤسسات الإيرانية في توزيع المساعدات ونشر الفكر الشيعي -أحيانًا- في منابرها الإعلامية.

وجاء المبحث الثالث: ليستعرض العلاقة الإيرانية مع حركة

حماس، حيث كانت حماس في البداية معادية للتشيع، وهو ما تنتقدها عليه صحف الجهاد حاليًّا بعد اختلاف موقفها من إيران، وكان مبعدو مرج الزهور سنة (١٩٩٢) الخطوة الأولى في تواصل حماس الداخل مع الشيعة في حزب الله؛ حيث تم فتح مكتب لحماس في لبنان، وعقد تفاهم مع حزب الله لتدريب كوادر حماس، وتصاعدت العلاقة مع إيران عقب فوز حماس بانتخابات (٢٠٠٦)، حتى أعلن خالد مشعل أن حماس ستصعّد ضرباتها ضد الاحتلال إذا تعرضت طهران لهجوم عسكري!

وتبرّر قيادة حماس علاقتها بإيران بأنها: علاقة تقاطع مصالح، وليست تبعية، ومصالح إيران هي: استخدام حماس كجسر للعبور للشارع العربي والإسلامي، وتحقيق مشروعها السياسي الذي يتقاطع جزء منه مع جماعات الإسلام السياسي؛ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين.

لكن وقوف حماس على الحياد في الثورة السورية أضرّ بعلاقتها بسوريا وإيران، فبرغم عدم إعلان حماس تأييدها للثورة السورية، ولا استنكار الإرهاب بحقّ الشعب السوري والفلسطيني في سوريا إلا أن إيران لم تقبل منها هذا الموقف، وحرصت حماس على أن لا تقطع العلاقة مع إيران؛ برغم كل جرائمها في سوريا وغيرها من البلاد العربية، وفعلًا وصلتا لتفاهم على تنحية الملف السوري من علاقتهما المشتركة، وعاد الدعم الإيراني بوتيرة أقل بعد انقطاعه.

وتحاول إيران عدم قطع العلاقة مع حماس لتمرّر دعايتها برعاية المقاومة والممانعة، ولكنها -أيضًا- تحاول اللعب على ورقة حماس الخارج وحماس الداخل، ودعم «كتائب القسام»، وبرز ذلك في تعزية الكتائب في سمير قنطار وعماد مغنية؛ برغم أن ذلك من شأن المكتب السياسي للحركة! في محاولة لفرض سياسة فتح أكثر من خط مع حركة حماس مما يلبي متطلبات الأجندة الإيرانية من هذه العلاقة.

اضطرت حركة حماس للتغاضي عن بعض السلوكيات والتصريحات لمتشيعين في غزة؛ بسبب الحصار والدعم الإيراني؛ برغم أنها ترفض التشيع وتتصدى -أحيانًا- لبعض الاستفزازات؛ كموقفها من «حركة الصابرين»، لكن هناك تساهل في الموضوع بين الفينة والأخرى، وهو ما يجب أن تتنبه له قيادة حماس؛ خاصة في الداخل.

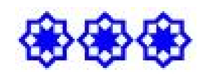
المبحث الرابع هو: العلاقة مع «حركة الصابرين»؛ والتي تعد النسخة الفلسطينية من حزب الله اللبناني -في فكره وشعاره-، وهم منشقون عن «حركة الجهاد».

وكانت الغاية الإيرانية من تأسيس الحركة: نشر التشيع عبر العمل الثقافي والإغاثي، وإلَّا فدورها الجهادي باهت لقلة عدد أفرادها.

وخطورة الحركة تكمن في: أنها ستكون بديلًا عن حركتي «حماس والجهاد»، أو منافسًا قويًّا خلال بضع سنوات؛ كما جرى مع الحوثيين في اليمن -مثلًا-.

وقد استعرض الباحث مواقف «الصابرين» من عدد من القضايا الشيعية والإيرانية؛ كالموقف من الثورة السورية، والحوثيين، وشيعة البحرين؛ فإذا هي متطابقة مع السياسات الإيرانية!

ويختم الباحث كتابه بعدد من التوصيات للتصدي للمشروع الشيعي الإيراني في فلسطين والمنطقة، وبملحق فيه صور لبعض المقالات والبيانات المؤيدة لإيران والتشيع من غزة.





وفيكم سمّاعون لهم

قالوا: ينشط حاليًّا جيش إلكتروني يتكون من أكثر من (١٥٠٠٠) حساب مزور بمعرفات وأسماء خليجية.

هدفها: نشر الكراهية بين شعوب المنطقة.. فاحذروها!

تغريدة على تويتر، عبد العزيز أبو زياد

على نفس الخطى

قالوا: الأوّلون قتلوا عثمان وهو صائم.

والخوارج قتلوا عليًّا في رمضان وهو صائم.

وخوارج «هتش» يقتلون أهل المعرة في رمضان وهم صائمون.

شابهوا أسلافهم!

تغريدة على تويتر، حسان الجاجة

متى نفهم؟

قالوا: جولاني: أهلكك الله!

لم أرَ في حياتي أنذل من الجولاني، يقول النبي ﷺ: «**إنّ ممّا أدرك الناسُ من كلامِ النبوّة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»، ويقول العامة في أمثالهم: «عليك أن تخاف ممّن لا يخاف من الله».

وهذا النذل الجولاني لا يخاف من الله، ولا يخجل من الناس!

في رمضان يا عدو الله؟ في رمضان؟! ووقت الإفطار والناس آمنون في البيوت والمساجد؟ تركتَ الأعداء الذين يتقدمون في كل الجبهات ويقضمون الأرض، وقاتلتَ كرام المجاهدين الذين يحمون الأرض، ويرابطون على الجبهات؟!

مؤسفٌ أن شياطين الإنس لا تُصفَّد في رمضان كما تُصفَّد مَرَدة الشياطين.

لو صُفّدوا جميعًا لنجونا من بغي الجولاني وإجرامه، وإجرام عصابته وقطعانه في هذا الشهر الفضيل.

لو كانت لي في هذه الليلة المباركة دعوة مستجابة لجعلتها في فرعون الثورة وهامانها (الجولاني والمحيسني)، فلن تنجو الثورة ولن نعيش في سلام حتى يهلكهما الله؛ هما وأمثالهما وأضرابهما وأشياعهما من المجرمين والمنافقين.

اللهمّ في هذه الليلة المباركة أدعوك وأرجوك: خذهما، وخذ سائر العصابة، وأرِحنا منهم أجمعين!

مجاهد مأمون ديرانية

سلاحنا المعطل

قالوا: شيعة باكستان سبقونا إعلاميًّا، مما سبّب لهم النجاح في زيادة الشيعة بشكل كبير؛ حتى أن هناك قرى سنية تشيّعت

بسبب الإعلام، ونحن غائبون!

تغريدة على (تويتر)، «قناة وصال»

عادي!

قالوا: صحف طهران: مخدرات طهران أرخص من الحليب.. واتهامات لمديري «تليغرام» بالتجسس.

تغريدة على (تويتر)، «مركز الدراسات الإيرانية»

إسلام شيطاني!

قالوا: أسس مسلمون داخل مبنى تابع لكنيسة في برلين مسجد «ابن رشد-غوتيه»، وصفوه بالمسجد الليبرالي؛ يكسر المحظورات!

إذ يمكن فيه: أن يصلي الرجال والنساء سويًّا؛ بمن فيهم غير المحجبات والمثليون.

وأن تؤم المصلين فيه امرأة!

وذلك في محاولة منهم للترويج لما وصفوه بالإسلام المعتدل.

في هذه الصلاة الأولى المؤذن هو امرأة، بعدها تستهل امرأة أخرى بعباءتها البيضاء وشعرها القصير المكشوف صلاة الجمعة بعبارات ترحيب بالمصلين!!

والمبادرون إلى تأسيس هذا المسجد هم: سبعة ناشطين وناشطات؛ لم يجدوا مكانًا لهم في المساجد المحافظة لأداء الصلاة كما يريدون، فأطلقوا هذه المبادرة.

وتقول أتيس -التي أثارت فضيحة في أوساط المسلمين بدعوتها الإسلام إلى ثورة جنسية- أن: «هؤلاء السادة والسيدات (السلفيين) عليهم أن يكفوا عن السعي لسلبي حقي في أن أكون مسلمة»!

«هاف بوست عربي»، (١٧/٦/٢٠١٧)

خطر القاديانية

قالوا: يستهدف الأحمديون في الجزائر المناطق النائية والأرياف، حيث يعمدون إلى إغراء الجزائريين بالمال والسيارات، وبعض الامتيازات، باعتراف الذين تم القبض عليهم.

كما يستعملون منشورات مبسطة، وأقراصًا مضغوطة في دعوتهم.

ويقول المتخصص في الجماعات الإسلامية نور الدين ختال: إن هناك أوامر عُليا أعطيت إلى المصالح الأمنية بالتحرك ضد هذه الجماعة، بعد سنوات من البحث والتحري وجمع المعلومات.

كما يؤكد: أن التهديد الذي تمثله الجماعة يكمن في ولائها لقيادة خارج الجزائر، وتحويلها الأموال -بحسبه- من وإلى الجزائر، بعيدًا عن مراقبة الأجهزة الأمنية والبنوك؛ «حيث تتم العملية عن طريق أفراد ينتمون إلى الطائفة الأحمدية».

من جانبه؛ يؤكد الباحث والأستاذ الجامعي محمد أمين مقراوي: أنهم استعادوا نشاطهم بداية العام (٢٠٠٧)؛ حسب اعتراف أميرهم وقتها محمد فالي.

مشيرًا إلى تزايد نشاطهم بفعل بعض المغتربين الذين يأتون من أوروبا.

عبد الحميد بن محمد، «منتديات الجزيرة»



المجاهرة بالإفطار في رمضان
مراهقة فكرية تشوّه العلمانية، وتقوّض أركان الحرية

موسى برهومة - موقع «قنطرة» الألماني (٢٠١٧/٦/١٤)

-رؤية علمانية هادئة لترسيخ العلمانية، «الراصد»-

يُخطىء كثيرًا من يتوهّم أنه يُحقّق نصرًا إنْ هو عارض الحساسيات الدينيّة، أو تصادم مع الأعراف الاجتماعيّة؛ بزعم أنه «ليبرالي» أو «علماني» أو شخص غير متديّن!

ما القيمة المرتجاة من التغنّي بالخمر، والمجاهرة بالإفطار في شهر رمضان! بذريعة: أنّ الإفطار حريّة شخصيّة، وليس على الدين أن يُقيّد البشر، وأنّ على الدولة أن تضمن الحريات المدنية لمواطنيها من دون ضغط أو إكراه أو تضييق.

المعضلة ليست هنا أبدًا؛ إنها في مكان وسياق مغايرين، فإنْ كنتَ تدعو إلى فكرة نبيلة فمن المستحسن أن تجمع النّاس عليها، وتحبّبهم بها على قاعدة الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩].

أما أن تخرج -أيها الليبرالي أو العلماني!- على البشر في مجتمع محافظ دينيًّا شاهرًا سيجارتك، وماضغًا علكتك، ومتباهيًا بترنّحك، غير عابيء بمشاعر الصائمين؛ فهذا أشدّ ما يشوّه العلمانية والليبرالية، ويقوّض مشروع التنوير، ويؤكد أنّ من يفعل ذلك لا يفقه شيئًا عن جوهر العلمانية باعتبارها ضمانة لممارسة متكافئة للحرية لسائر الأفراد في المجتمع.

وتعكس بعض ردود أفعال من ينتسبون إلى التيارات الليبرالية والعلمانية ضيق أفق في النظر إلى الحريات؛ وبخاصة الدينية منها!

وثمة من يعتقد أنّ: الإقرار أو الامتثال لما تمليه السلطة الدينية في مجتمع غالبيته المطلقة مسلمون -مثلًا- يعني: التنازل لهذه السلطة عن الحرية الشخصية، وبالتالي يتوجب معاندة هذه السلطة؛ من خلال القيام بأفعال استفزازية؛ كالإفطار العلني في شهر رمضان، والاستخفاف بمشاعر الصائمين عبر تقصّد إيذائهم بالتدخين أو الطعام والشراب في الأماكن العامة، والهزء بطقسهم الديني، ووصفه بأنه «مجرد جوع لا طائل منه»!

○ الحرية الشخصية لا تطبق على أنقاض حرية الآخر:

وتكشف هذه التصورات سطحية وضحالة في النظر إلى الحرية، ويصدر أصحابها عن وهم بأنّ الحرية الشخصية لا تتم إلا على أنقاض حرية الآخر، فالعقل الإقصائي لدى بعض الليبراليين والعلمانيين يضيق بالآخر المختلف، ويود الإلقاء به في البحر؛ ليتخلص من عبء مزاحمته في الفضاء العام، وهو إذ يفعل ذلك فإنه يتخلّص من أهم ما يعتنقه: التسامح، التعايش، احترام الحقوق المتساوية والمتكافئة للجميع، وتوقير الحساسيات الدينية، مراعاة الوجدان الجمعي...

وليس في مراعاة الليبرالي أو العلماني للتقاليد الدينية من سلوك وشعائر وزي في مجتمع يدين أفراده بالإسلام -مثلًا- أيّ ارتهان لسلطة فئة دون سواها، وحتى لو كانت الغلبة -عددًا

وعدة وجهوزية- هي لمصلحة الطرف الآخر، فذلك ليس معناه: أن أناصبه العداء! فالحرية في المجتمعات المتمدنة تتسع لسائر المختلفين، والديمقراطية كفيلة بأن تكون الفيصل في النزاعات ما دام الناس يخضعون لآلياتها، ومن حق الفرد في تلك المجتمعات أن يمارس ما يحلو له من دون تجاوز القانون.

بيْد أن تلك الصورة المتبلورة في السياقات الاجتماعية والثقافية للعالم المتمدن لا يجوز إسقاطها بقضّها وقضيضها على المجتمعات العربية، والمطالبة بأن يتمّ التعامل مع المفطر في عمّان أو القاهرة كالمفطر في روما أو باريس، وتلك أغلوطة لا ينفك يرتهن إليها بعض الليبراليين والعلمانيين؛ الذين يريدون تفكيك المجتمع وتثويره وتخليصه من إرثه الديني، ووضعه على سكة الدولة المدنية برمشة عين.

ويصدر بعض أولئك الليبراليين والعلمانيين عن «مراهقة فكرية» حينما يتعالون على أصحاب الحساسيات الدينية والنفسية؛ على اعتبار أنّ هؤلاء أدنى مرتبة منهم، وبالتالي فإنّ هذا في زعمهم ذريعة لازدراء عباداتهم والهزء منها!

الفريق الأول يعبر عن رغبته في تفكيك وجدان الفريق الثاني؛ وإذ يفعل ذلك لا يرى غير السخرية من عقائد الفريق الثاني وتحديها، والارتطام بما استقر في الذاكرة الشعبية الدينية باعتباره مقدّسًا، وهذا الارتطام يتخذ شكل التحدي، وإعلان الكراهية للدين، والتحرّش بشعائر الصوم؛ عبر انتهاكها في المجال العام، بحجة أنّ الآخر المتدين لا يحترم حساسيات الطرف الأول، ولا يفسح له المجال كي يمارسها بحرية!

ومعنى الحرية هنا: أن يأكل الليبرالي أو العلماني جهارًا نهارًا في الشارع والفضاء العام؛ حتى لو لم يكن مضطرًا للأكل والشرب والتدخين، المهم هو: استفزاز الوجدان الديني وتهشيمه؛ بدعوى الحرية، ومن دون أيّ وعي أو مسؤولية أخلاقية.

لا يتعامل أولئك العلمانيون والليبراليون بالمنطق التدريجي في تغيير الوجدان الجمعي، ولا يتوسلون بالحسنى مع الآخر؛ حتى لو كان مغايرًا!

إنهم يأخذون من الآخر أبشع ما فيه: إقصائيته، عنفه، انغلاقه، نزعته الاستئصالية، واحتماءه البراغماتي بالمقدّس.

ويصدّرون للآخر أبشع ما في الكراهية من عتمة: الازدراء، التعالي، الارتطام باليقينيات الشعبية، انعدام الرحمة، وفقدان التسامح.

لذا؛ في غمرة ذلك كله لا غرو أن تكون صورة الليبرالي والعلماني في المجتمعات العربية ملتصقة بالكفر والإلحاد، والتحلّل الأخلاقي، والفساد الاجتماعي، والانتهازية، والإدمان على المخدرات والكحول، والتفكّك العائلي، والخيانات التي تجري مجرى الماء في نهر يسيل بلا مصبّ أو ضفاف!

(إس-٤٠٠) لتركيا: حقيقة أو مراوغة؟

علي حسين باكير - «عربي ٢١»، (٢٠١٧/٦/٣)

أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الخميس: أنّ بلاده مستعدة لتزويد تركيا بنظام الدفاع الصاروخي المتقدّم (إس-٤٠٠)، وذلك خلال كلمة ألقاها بمدينة سان بطرسبرغ الروسية، مؤكدًا أنّه بحث الموضوع مؤخرًا مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

يبدو التصريح غريبًا بعض الشيء! سيما وأنّنا كنّا قد رجّحنا في مقال مطوّل سابقًا عدم حصول مثل هذا الأمر؛ بالرغم من تأكيد الجانب التركي بأنّ المحادثات حول شراء هذه المنظومة الدفاعية المتطورة تسير على ما يرام، حيث سبق لوزير الدفاع

التركي فكري أيشك أن أكّد في (مارس) الماضي: أنّ المفاوضات بين مسؤولي البلدين بهذا الخصوص وصلت إلى مرحلتها النهائية.

إذا ما تابعنا كامل التصريح الذي أدلى به الرئيس الروسي فسنلاحظ بأنّ هذا الترجيح لا يزال ساريًا، وأنّ ما قاله بوتين لا يعدو كونه مناورة سياسية على الأرجح.

فبعد أنّ أكّد استعداد بلاده تزويد تركيا بهذه المنظومة أشار إلى أنّ: روسيا لم تبدأ بعد بإنتاج (إس-٤٠٠) خارج البلاد، قائلًا: «في هذه اللحظة، نحن لا نقوم بإنتاج هذه المنظومة في الخارج، لكنّنا مستعدون لتوريد النظام إلى تركيا».

يدرك المسؤولون الأتراك -بطبيعة الحال- مدى أهمّية هذه المنظومة الدفاعية، لكن وكما أكّدت تركيا دوما فإن اهتمامها في المجالات العسكرية لا يتمثل في استيراد السلاح فقط، وإنما في الاستفادة من الشراكات لإنتاجه محليًّا، وللحصول على التكنولوجيا المرتبطة به أيضًا.

لم تخل أي من المناقصات السابقة التي أجرتها تركيا بخصوص صفقات السلاح المتطورة من هذه الشروط، وآخرها: الصفقات المتعلقة بالحصول على منظومة دفاع صاروخي.

الجانب الروسي يعلم هذه المعطيات جيدًا؛ ولذلك فإن التعقيب الذي تلا التصريح الأساسي لبوتين أهم من التصريح نفسه! ذلك لأنّه يتعارض مع ما يطلبه الجانب التركي، وهو ما يعني: أنّه سيكون على أنقرة في حال الموافقة أن تقوم بالشراء فقط دون المشاركة في الإنتاج أو الحصول على التكنولوجيا، وهو أمر من الصعب تصوّر حصوله إلا إذا اضطرت أنقرة للحصول على عدد محدود جدًّا من البطاريات؛ التي لن يتم دمجها مع منظومة (الناتو).

لكن حتى في هذا السيناريو المفترض -الذي نتحدّث عنه- سيكون هناك مشاكل عدّة، أهمها: ما يتعلق بالتمويل.

الحكومة التركية تحاول تأمين قرض من روسيا؛ في حال الموافقة على تزويدها بالمنظومة، وقد سبق لـ «سبوتنيك الروسية» أن نقلت عن فلاديمير كوجين -مساعد الرئيس الروسي لشؤون التعاون العسكري التقني- قوله بأنه لم تتم الموافقة على إقراض تركيا لشراء منظومة الدفاع الجوي الروسية المتطورة (إس-٤٠٠)؛ على الرغم من عدم وجود إعتراض على مبدأ تزويدها بها.

فضلًا عن ذلك؛ هناك حقيقة تقول بأنّ روسيا لم تصدّر هذه المنظومة بعد إلى أي من الدول؛ بما في ذلك الأكثر أهمّية من تركيا بالنسبة إليها.

فعلى سبيل المثال: تشير التقارير إلى: أنّ الصين ستكون أوّل من سيتم تزويده بهذه المنظومة من قبل روسيا، لكن ذلك لن يتم قبل العام (٢٠٢٠) على الأرجح، وفقًا للهيئة الفدرالية الروسية للتعاون العسكري التقني، أين يضع ذلك تركيا؟

تصريح بوتين يأتي على الأرجح في توقيت لا تزال فيه العلاقات التركية-الأوروبية، والتركية-الأمريكية مسمومة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى علاقة تركيا مع «حلف شمال الأطلسي»، ولذلك فإن فهمه من هذه الزاوية يعطي تقييمًا أكثر واقعية له في المرحلة الحالية على الأقل.

ثعابين اليمن.. «المكايدة» وصعود الحوثي

د. محمد جميح - «القدس العربي»، (٢٠١٧/٦/١٥)

يمكن البدء هنا بما يمكن الاختتام به: الحوثي لم يولد من فراغ! هو خطأ وخطيئة اليمنيين؛ بكل مكوناتهم السياسية وانتماءاتهم المذهبية، وتنميطاتهم الاجتماعية والثقافية.

كلمة السر في فهم حركة صعود الحوثي ليست «النصر الإلهي» الذي يردده الحوثيون، لأنهم وإن زعموا أنهم «أنصار الله»! فإنها دعوى من الدعاوى والشعارات الكثيرة المزيفة التي

رفعوها، وفي مقدمتها شعارهم الإيراني: «الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل».

كلمة السر في فهم تقدم الحوثيين في مسارهم العسكري من صعدة شمالًا إلى عدن جنوبًا: تكمن في لفظة واحدة هي: «المكايدة»، المكايدة السياسية والمذهبية والقبلية هي التي أعطت الحوثي فرصته الذهبية للتقدم؛ حتى بسط سيطرته على اليمن كلها مع نهاية (٢٠١٤).

وعودة إلى الوراء، في (٢٠٠٤) أعلن عن تأسيس «تنظيم الشباب المؤمن» في محافظة صعدة، دعمه الرئيس السابق علي عبد الله صالح، بمبلغ شهري كان يصرف لدعم أنشطة التنظيم الثقافية والدينية؛ حسب حديث لأمينه العام السابق محمد عزان؛ الذي عُزل في ما بعد، لإتاحة الفرصة لحسين الحوثي.

كان هدف صالح من زراعة التنظيم هناك: أن يضيف مكونًا سياسيًّا ودينيًّا إلى المكونات الموجودة؛ من إصلاح وسلفيين، ليتسنى لصالح ممارسة لعبته المفضلة في «الرقص على رؤوس الثعابين»!

كانت محاضرات حسين الحوثي تعج بعبارات طائفية، وكانت تمتلئ بالعبارات التي تقدح في رموز المسلمين مثل: أبي بكر وعمر وغيرهما، وكانت النار الطائفية تلتهب رويدًا رويدًا على وقع تفريغ محاضراته وكتابتها وتوزيعها على الناس في صعدة، وبعض مناطق صنعاء، لغرض فتح الباب للاحتقان الطائفي؛ الذي كان مطلوبًا له أن يزداد إلى القدر الذي تحلو معه «رقصة الثعابين»، دون أن تنفلت هذه الثعابين لتلدغ الراقصين!!

لكن «الثعبان الطائفي» خرج عن الطور، وكشر عن نابيه؛ بإعلان الحرب على الدولة والمجتمع في (٢٠٠٤)، وخلال حروب ست بين الجيش اليمني والحوثيين، امتدت من (٢٠٠٤ إلى ٢٠١٠) كانت «رقصة الثعابين» تؤدى بين الحين والآخر؛ حيث دخل المسرح لاعبون/راقصون جدد!

كانت أحزاب «اللقاء المشترك» التي تزعمها حزب الإصلاح - حينها - تقف ضد الحرب التي قضى فيها آلاف الجنود والمواطنين على يد مليشيات الحوثي، وكانت تتحدث عن «مظلومية الحوثي»، وكان ناشطون وناشطات من الحزب يقومون بحملات متواصلة للتأكيد على هذه «المظلومية»، وكان لوجود حزب «الحق» برئاسة حسن زيد، واتحاد القوى الشعبية؛ الذي كان يقوده الدكتور محمد عبد الملك المتوكل (وهما حزبان شيعيان)؛ كان لوجودهما ضمن «اللقاء المشترك» دور في اتخاذ الإصلاح موقفًا أقرب للتضامن مع الحوثيين، من باب المماحكات السياسية.

مرت السنوات ثقيلة ملطخة بالدم، إلى أن وصلنا إلى مشارف عام (٢٠١١)؛ حيث وصلت موجات «الربيع العربي» إلى صنعاء، وفجأة اجتاحت تلك الموجات شوارع العاصمة ومدنًا يمنية أخرى، ودخل الإصلاح للساحات، وتولى قيادة العمل الجماهيري المعارض.

وحينها أراد صالح أن يضغط على الموجات الهادرة في الشوارع بإخافتها من الحوثيين، فقام بسحب الوحدات الأمنية من صعدة، وسلمت المدينة للحوثيين، ورد الإصلاح بفتح ساحات صنعاء للحوثيين الذين ركبوا الموجة، وتدفقوا «بصورة سلمية» إلى صنعاء يهتفون مع «الإخوة في الإصلاح» بشعار الثورة: «الشعب يريد إسقاط النظام».

أذكر حينها أنني من لندن اتصلت بأحد قيادات الإصلاحيين في «ساحة التغيير» في صنعاء، بعد ورود أخبار تشبه «الإشاعة»! بأن الحوثيين يتدفقون على صنعاء، وسألته: هل صحيح أن الحوثيين متواجدون في الساحة؟ فأجاب: «نعم، وهم إخواننا وشركاؤنا في الثورة الشعبية السلمية»، في وقت أفتى شيوخ الإصلاح بجواز جمع صلاتي الظهر والعصر للمتظاهرين في «ساحة التغيير»، كما هو الحال عند الشيعة؛ انسجامًا مع المذهب الديني للحوثيين.

كـان صـالح في إحـدى غـرف «دار الرئاسـة»، يفكـر في مخرج من «الورطة» التي وجد نفسه فيها! وتم تداول عـدد مـن الحلـول لـشق صـف المتظـاهرين، وفي أحـد الأيـام بـدأت فكـرة التواصل مع الحوثيين تلح عليه.

لا دليل بالطبع على أن الرئيس السابق كان قد نـسج خيـوط علاقته مع الحوثيين في ذلك التاريخ المبكر، لكن الأرجح أن الفكرة تم تداولها على وقع تزايد الهدير في شوارع صنعاء.

في (مايو ٢٠١١) اتصلت هاتفيًّا بأحد شيوخ قبيلة بكيـل، وكـان مـن المعارضـين لـصالح، فقـال لي: «إن هنـاك مخـاوف مـن أن ينتقم صالح من الإصلاح بالتحالف مع الحوثيين».

بدت الفكرة لي -حينها- ضربًا من الجنون! إذ كيف يمكن أن يـتم التحـالف بـين الأعـداء الـذين جـرت في حـروبهم أنهـار مـن الدماء؟! لكن بدا أن الشيخ القبلي كان يدرك بواطن الأمـور بـشكل مدهش!

مع تقدم السنوات، وحلـول (٢٠١٢)، وانتخـاب الـرئيس عبـد ربـه منـصور هـادي، والوصـول إلى الحـوار الـوطني في بداية (٢٠١٣): ذهبت إلى صـنعاء عـضوًا في الحـوار، كنـت حينهـا ضمن قائمة رئيس الجمهورية، وكنت أندهش لحجم التنسيق العالي بين أعضاء حزب المؤتمر الـشعبي العـام وأعـضاء جماعـة الحـوثي في «مؤتمر الحوار»، وكنت أدخل في مشادات -أحيانًا- مع زملائي من حزب «المؤتمر» الذي أنتمي إليه، معترضًـا عـلى ذلـك التنـسيق، غـير أنهم كانوا يذهبون بعيدًا فيه؛ لدرجة تفضح وجـود أوامـر تنظيميـة بذلك.

مـع نهايـة الحـوار في (ينـاير ٢٠١٤) شـددت الرحـال إلى لنـدن؛ لأفاجـأ بـأن الحـوثيين في اليـوم التـالي تحركـوا لغـزو منطقـة «دمـاج»؛ التـي يقطنهـا سـلفيون يتبعـون الـشيخ الراحـل مقبـل الوادعي.

صمدت العزلة شهورًا طويلة تحت الحصار، قبـل أن يـأمر الرئيس هادي أهاليها بالخروج منها؛ كحل للحرب عليها، وهـو مـا تـم؛ حيـث شـهد الـيمن أول عمليـة «تطهـير مـذهبي» في تاريخـه الحديث، بتهجير آلاف السلفيين من دماج!

كان علي عبد الله صالح يقـف وراء الـستار يمـسح شـاربيه، ويرقب الأحداث؛ التي كـان هـو لاعبهـا الـرئيس، تحـرك الحوثيـون مـن صـعدة إلى عمـران، وبـالحجج التـي يكررونهـا «في الـدفاع عـن الـنفس، ومواجهـة الإخـوان (حلفـاء ٢٠١١)، والتكفيريـين حتـى دخلوا صنعاء في (سبتمبر ٢٠١٤).

كـان صـالح حينهـا يتواصـل مـع القيـادات، وينـسج خيـوط التحالفات، وكان اللاعب الجديد الذي دخل المسرح هـو: الـرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي.

لم يكن هادي بعيدًا عـن عمليـة دخـول الحـوثيين عمـران وصنعاء، مع إنه كـان يتعلـل بـالقول إنـه لم تكـن لديـه سـيطرة عـلى الجيش الذي كان يقول أنه يدين بالـولاء لصالح، غـير أنـه في الواقـع لم يصدر أوامره لمواجهة الحوثيين، ولا دليل على وجـود نيـة حقيقيـة مـن هـادي لـمواجهتهم؛ حيـث رأى فـيهم هـادي عنـصرًا يمكـن أن ينـسق معـه ضـد الـرئيس الـسابق مـن جهـة، وللحـد مـن قـوة «الإصلاح» والجنرال علي محسن الأحمر؛ الذين خرجوا من أحـداث (٢٠١١) في قوة بات هادي يخشاها، رغم أنه جـاء إلى الـسلطة عـلى إثر الثورة التي دعموها.

كـان هنـاك لاعبـون آخـرون في «مـشهد المكايـدة» هـذا؛ حيث رأى «الحراك الجنوبي» في الحوثيين قوة مهمة لضرب خصميه اللدودين: «الإصلاح» و«صـالح»، فكـان الحـراك يقـف بكـل ثقلـه الإعلامي والجماهيري والتعبوي مع حركة الحوثي، وكانت الفرحـة غامرة في أوساط الحراكيين بدخول الحوثيين صنعاء.

بعد دخول الحوثيين صنعاء، وتحديدًا في (١٤ أكتوبر ٢٠١٤) كان القيادي الحوثي محمد البخيتي هو الوحيد من قيادات المكونات اليمنية الذي دعي إلى مهرجان أقيم بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر، في ساحة العروض في عدن، بدعوة من الحراك الجنوبي.

وقبل ذلك كان التنسيق عاليًا بين الحوثيين والحراكيين داخل قاعات «مؤتمر الحوار الوطني»؛ حيث كان الحوثيون يؤيدون طرح «حق تقرير المصير» للجنوب، وكان الحراك يؤيد فكرة (الاعتذار للحوثيين) في «مؤتمر الحوار» عن حروب صعدة.

وتمر الأحداث، ويأتي التحالف العربي على خريطة يمنية معقدة، تتم فيها التحالفات والتحالفات المضادة بسرعة فائقة! محكومة بفكرة «المكايدة» التي استطاع الحوثي توظيفها -داخليًّا وخارجيًّا- إلى أن وصل إلى سواحل عدن مطلع (٢٠١٥).

وباختصار: الكل أخطأ، والكل أسهم في تقوية الحوثي، وإن بنسب متفاوتة، ولأغراض مختلفة! مع أن الحوثي ضرب كل الذين تحالفوا معه دون استثناء؛ فالإصلاح (حليف ٢٠١١) شهد كارثته الأعظم على يد الحوثيين بعد دخول صنعاء، والحراك غزاه الحوثي إلى عدن، وصالح يعيش اليوم تحت رحمة مليشيا عبد الملك؛ التي فتح لها معسكرات الدولة.

أما هادي الذي حاول أن يوظف الحوثي لصالحه؛ فقد انتهى به الأمر في الإقامة الجبرية، قبل أن يهرب إلى عدن؛ ليضربه الحوثي بالطيران الحربي، قبل أن ينجو إلى الرياض.

الكل رقص مع الثعبان! والكل حاول ترويضه! لكن الثعبان التهم الجميع، وها هو اليوم يلتهم نفسه، يتحرى في كل الجبهات، بعد أن خرج لقتال «الأمريكيين والإسرائيليين» في كل بقعة على تراب اليمن.

هذا غيض من فيض، وهناك تفاصيل ولاعبون لا يتسع المقام لذكرهم هنا، ربما أتيحت الفرصة لتناول طرائق رقصهم في مناسبة أخرى.

البلد ينهار، والثعابين المجهدة تأكل بعضها، وتأكلنا!

وقديمًا طلب حاكم فاسد من أحد المجانين أن يدعو له بالصلاح، فقال المجنون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[يونس:٨١].

هل «فتح الشام» خوارج أم لا؟!

تغريدات الشيخ موسى الغنامي

▣ **تأصيل: ترتكز عقيدة الخوارج على أمرين:**

١) **التكفير بغير مكفر**؛ سواء في الكبائر أو المعاصي أو حتى المباحات.

٢) **استحلال الدماء**؛ بناء على تكفيرهم.

دليل ذلك حديث النبي ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، فلو لم يكفروا ما بنوا حكم القتال!

هاذان الأمران يبينان بجلاء معتقد الخوارج.

▣ **ومن ناحية السلوك فينطلق الخوارج من قاعدتين:**

١) **تخوين** المخالف لهم، واتهامه في دينه.

٢) **يكون أساس هذا التخوين** أمرًا دنيويًّا يلبسونه لبوس الشرع!

دليل ذلك حديث ذو الخويصرة عندما أتهم النبي ﷺ في دينه؛ عندما رآه يقسم المال فقال: «أعدل يا محمد! فإنك لم تعدل»، فطعن في دينه لأمر دنيوي.

هذان أهم مرتكزان للخوارج في الاعتقاد، وأهم منطلقين في السلوك، وأزعم أن فهمها كفيل بأن يعرف طالب العلم أي حزب أو جماعة تنحى منحى الخوارج.

إذا تقرر ما سبق فدعونا ننزلها على «فتح الشام»، ونرى هل ينطبق عليها وصف الخارجية أم في ذلك إجحاف؟ مع الاتفاق -حتى من بعض شرعييهم- أن عندهم غلو!

◘ وسأبدأ بالمرتكزات العقدية للخوارج:

أولًا: التكفير بغير مكفر، فنجد أن أبا فراس السوري -متحدث النصرة سابقًا ومدير المعاهد العلمية لاحقًا- **يصف من حضر مؤتمر الرياض ومن يأخذ الدعم من الملوك** من الفصائل والإئتلاف بأنهم وقعوا في (ردة صريحة) وعليهم أن يتوبوا قبل القدرة عليهم!

ولا يقف عند هذا بل يصف أحرار الشام بـ (رسل المرتدين)، وكل ذلك بسبب حضور مؤتمر الرياض؛ والذي لا يقول (مسلم) بأن حضوره محرم؛ فضلًا أن يكون ردة!

وهذا هو أول مرتكزات الخوارج العقدية = التكفير بغير مكفر.

قد يقول قائل: أبو فراس لا يمثل إلا نفسه، وليس معتقد «فتح الشام» كجماعة ؟!

والجواب:

١- لم يصدر عن قيادة «فتح الشام» وقتها أي اعتراض؛ رغم استنكار قادة الفصائل والعلماء.

٢- بل ذكر أبو فراس: أن كبار شرعييهم وافقوه على حكمه!!

٣- ذكر شيخ صالح الحموي -أحد مؤسسي النصرة-: أن رأي أبا فراس في التكفير يتبناه (٦٥%) من أفراد «فتح الشام» وشرعييهم وقادتهم!

فهذا الأصل الأول.

ثانيًا: القتال بناء على التكفير، فنجد «فتح الشام» بنَت قتالها للفصائل على تكفيرهم؛ وهذا جلي في الصوتيات التي تنشر حال عدوانهم على الفصائل! وأيضًا في كتابات جنودهم على مقرات الفصائل التي يحتلونها بعد القتال!

قد يقال: الذي نقرأه في بيانات القوم أنهم لا يكفرونهم؛ ولو قاتلوهم؟!

والجواب:

١- لا يختلف اثنان: أن المقدسي هو المحرك الفعلي لـ «فتح الشام»، وقد أفتى بأن قتال الفصائل هو كقتال بني قريضة؛ وليس تغلبًا، وهذا صريح!

٢- المعروف عن القاعدة أنهم: لا ينزلون للشرع مع من يرونه (مرتدًا)، وهذا ما تكرر أكثر من (١٦) مرة مع من يطالبهم بالشرع، ويأبون إلا استئصاله!

٣- الذي يعرف القاعدة يعلم باطنيتهم؛ كما فعل العدناني -أيام إخوة المنهج- عندما استعاذ بالله من استباحة وتكفير المجاهدين! فلما تمكن نكل بهم!!

ما مضى مرتكزًا عقيدة الخوارج، وكما ترون تحققها على «فتح الشام» بواقع الحال؛ وأما تكذيبهم لها بالمقال فلن تجد جماعة تقر على نفسها بالخارجية!

أما بخصوص سلوك الخوارج مع مخالفهم بالأمرين الذي ينطلقون منها، فهذا واضح في «فتح الشام»، وأدنى متابع للشأن السوري لا يحتاج إلى دليل لذلك!

أولًا: تخوين المخالف لـ «فتح الشام» واتهامه؛ فهذا أمر سارت به الركبان، وما وصف (مميع-ديمقراطي-عميل-مطية للغرب-موك-بلا قرار) إلا دليل تخوين!!

وهذه الأوصاف التخوينية تجدها حاضرة في بيانات «فتح الشام» الرسمية ضد الفصائل وقادتهم والمفاوضين عن الشعب في المحافل الدولية على السواء!

ثانيًا: يكون تخوين «فتح الشام» ذريعة لهم لأمر دنيوي يلبسونه لبوس الشرع، وهذا -أيضًا- ظاهر في سطوهم على أسلحة الفصائل ومستودعاتهم بحجة الخيانة!

وأمثلة ذلك تتزاحم في ذهني: فسرقة معامل جيش الإسلام في الغوطة، وأسلحة تجمع، فاستقم في حلب، وجيش المجاهدين قبل أيام، وقبل ذلك (١٥) فصيلًا.

فهذا معتقد الخوارج وسلوكهم قد ظهرت في «فتح الشام»، ولا يغرنّكم معسول الكلام وإدعاء المظلومية! فقد دندن عليها الدواعش قبلهم؛ ثم رأينا ما صنعوا!

ختامًا: أشهد الله أن: «فتح الشام» ينطبق عليهم وصف الخوارج، أقول ذلك ديانة لله، وقد نطق بهذا الحكم المجلس الإسلامي؛ وهو أكبر مرجع للثورة السورية.

«دير شبيغل» تكشف بالصور جرائم الحشد الشعبي الإيراني، ومنافستهم على اغتصاب النساء

بندر الدوشي - «صحيفة سبق»، (٢٠١٧/٥/٢٤)

وصفت مجلة «دير شبيغل» الألمانية قوات الحكومة العراقية وميليشيات الحشد الشيعية بـ (الوحوش)! وذلك على خلفية ممارساتهم الطائفية التي كان بعضها بعلم القوات الأمريكية بحق أهالي مدينة الموصل السُّنية الواقعة شمالي العراق، ضمن استراتيجية إفراغ تلك المناطق، وإرغام السنة على الخروج وترك مناطقهم؛ حتى يتم التغيير الديموغرافي المطلوب!

ووثقت المجلة الألمانية بالصور العديد من حالات الانتهاكات التي ارتكبتها قوات الحكومة العراقية وميليشيات الحشد الشيعية في الموصل، منذ انطلاق العمليات العسكرية في المدينة؛ بحجة طرد تنظيم الدولة في (١٧ أكتوبر ٢٠١٦).

❑ (وحوش)! وليسوا (أبطالًا):

مراسل المجلة الألمانية علي أركادي -بحسب «أورينت نيوز»- رافق قوات الحكومة العراقية وميليشيات الحشد الشيعية، منذ انطلاق الحملة، وخرج بحصيلة من الحقائق التي تكشف لأول مرة؛ حيث كان يعد تقريرًا عن أبطال التحرير في الموصل، غيَّر رأيه بعد معايشته للواقع عن قرب، وأطلق وصف: **(وحوش)! بدلًا من (أبطال)**؛ الذي كان ينوي إطلاقه على الجنود العراقيين وعناصر ميليشيات الحشد!

❑ إعدام وتعذيب:

يؤكد الصحفي أنه شهد أول عملية تعذيب وإعدام في يوم (٢٢ أكتوبر) من العام (٢٠١٦)، عندما اعتقلت قوات الرد السريع شابين في قاعدة القيارة جنوب الموصل، وقامت هذه القوات بتعذيبهما لعدة أيام، ومن ثم أعدموهما.

وبعدها ذهب الصحفي إلى منطقة حمام العليل، بتاريخ (١١ نوفمبر عام ٢٠١٦)، ومنذ ذلك الحين حدثت أمور أكثر؛ تعذيب، واغتصاب، وقتل الناس؛ لأجل الشك فقط!!

وأوضح: أن قوات حكومة بغداد -بعد أن سيطرت على قرية قبر العبد قرب حمام العليل- اعتقلت عناصر الاستخبارات أشخاصًا عدة من بينهم: رائد هندية -وهو حارس لأحد المساجد في القرية-؛ حيث أخذوه، واستجوبوه، وضربوه لعدة ساعات، وأطلقوا سراحه.

ويستطرد الصحفي: «بتاريخ (٢٢ نوفمبر) دهمت ليلًا قوة مكونة من (١٠) أشخاص، وكانت القوات الأمريكية في مكان قريب وتراقب المداهمة عبر طائرة مسيرة، كان هندية نائمًا مع عائلته عندما اعتقلوه للمرة الثانية، وعذبوه لساعات قبل أن ينقلوه إلى مقر الاستخبارات، وهناك تم تعذيبه لمدة أسبوع، وبعد ذلك تم قتله مع عدد آخر من المشتبه بهم؛ وهذا حسب قول النقيب ثامر

الدوري - أحد ضباط الاستخبارات -.

وفي الليلة نفسها اعتقلوا شابًّا يدعى: رشيد، وكان بريئًا، وشهد له عناصر استخبارات في الجيش، لكن ذنبه: أن شقيقه الأكبر التحق بداعش هو وزوجته، توفي رشيد بعد (٣) أيام من التعذيب، ورأيت جثته في مقر الاستخبارات».

وبحسب قول الصحفي؛ فإن الكابوس قد بدأ الآن: قوات الرد السريع اعتقلت العديد من الأشخاص من حمام العليل، من بينهم أب وابنه البالغ من العمر (١٦) عامًا، وتم اقتيادهما إلى مقر العمليات، الأب مهدي محمود تم تعليقه من يديه خلف رأسه، وهو معصوب العينين، وضربوه على ظهره، وكان ابنه في الغرفة المجاورة، وكان يستطيع سماع صراخ أبيه.

مستطردًا: «كنت هناك وصورت؛ ولم يحاولوا منعي، وبعدها ضربوا الابن أمام أعين أبيه، وبعدها قتلوه».

ويتابع: «بعدها أصبحت الأمور خارج السيطرة أكثر فأكثر، وكنت أفكر وأقول: كيف استطعت الوصول إلى هنا؟ لماذا يجعلونني أصورهم وهم يعذبون الناس؟ كيف يكون هذا وثائقيًّا عن التحرير من داعش؟ لكنهم لا يفكرون مثل الصحفيين؛ بالنسبة إليهم أصبح هذا الشيء أمرًا عاديًا! وبالوقت نفسه قلت لنفسي: يجب أن توثق هذا، وتثبت أنهم فعلوا هذه الأمور التي تظهر كيف ارتكبوا جرائم الحرب».

❑ على الطريقة الأمريكية:

ويوضح الصحفي - الذي يعمل مراسلًا مع المجلة الألمانية -: أن المنطقة كان يعمل فيها صحفيون غربيون، لكنهم يأتون في النهار فقط، ويعودون إلى أربيل في المساء.

ويقول: «كنت أبقى وحدي مع القوات التابعة لوزارة الداخلية، في منتصف شهر (ديسمبر) تم نقلنا إلى مقر آخر في بازوايا، في الأطراف الشرقية لمدينة الموصل، كان هناك شقيقان ليث وأحمد، وتم اعتقالهما بوساطة الفرقة الذهبية، وتم إطلاق سراحهما لنقص الأدلة، والآن تم اعتقالهما مرة أخرى، وإحضارهما إلى هنا.

في المساء لم يكن هناك ضباط، فقط جنود؛ وكانوا مسؤولين عن التعذيب، بدؤوا أولًا بضرب الاثنين، أولًا بالضرب، وبعدها وضعوا سكينًا خلف أذن أحمد، وكانت تقنية تعلموها من الجنود الأمريكيين!

علي - أحد الجنود تفاخر بذلك! -، وفوجئت بأنهم سمحوا لي بالتصوير! وبقيت هناك لمدة ساعة، وفي الصبح أخبرني أحد الجنود أن كِلا الشقيقين تم تعذيبهما حتى الموت، وأظهر لي فيديو فيه جثتهما حتى إنه أرسله لي على «الواتساب»، كما يروي ما حصل معه».

❑ الاغتصاب:

ويسرد المراسل الصحفي ما حدث معه في يوم (١٦ ديسمبر)، ويقول: «وصلت قوة من الرد السريع إلى بازوايا، وكانوا قد حصلوا على بعض الأسماء من أحد المخبرين لمن قيل: إنهم أشخاص قاتلوا مع داعش، وفي الليلة نفسها خرجت معهم في حملة مداهمة، قاموا بمداهمة أحد المنازل، وأخرجوا رجلًا يدعى: فتحي أحمد صالح، قاموا بسحبه من غرفة النوم؛ حيث كان إلى جوار زوجته وأطفاله الثلاثة.

أحد العناصر يدعى: حيدر علي دخل إلى الغرفة، وقال: إنه سيقوم باغتصاب المرأة، وأنا رافقت البقية لأرى ماذا سيفعلون بزوجها، بعد (٥) دقائق شاهدت المدعو حيدر علي أمام الباب المفتوح، وفي الداخل المرأة وهي تبكي، فسأله النقيب عمر نزار: ماذا فعلت؟ فأجاب حيدر: أنها حظيت بيومها!

قمت بتصوير المرأة وهي بداخل الغرفة، وبين يديها أصغر أطفالها، فنظرت إليّ؛ ولكني كنت أصور بلا تفكير».

❑ سرقة وتعفيش بمعرفة القوات الأمريكية:

ويتابع رصد ما حصل معه: «في أثناء ذلك قام بقية الجنود بإخلاء المنزل، وسرقوا ما استطاعوا حمله معهم.

السجين الأخير في تلك الليلة كان أحد عناصر الحشد العشائري السُّني، لكن الحشد الشيعي لا يحبون السُّنة؛ لذا قاموا بأخذه لأحد الأبنية وقام أحد الجنود باغتصابه!

وعندما عادوا إلى المقر سألهم المشرف الأمريكي عبر اللاسلكي: ماذا فعلتم؟ فأجابه النقيب عمر نزار: كل شيء؛ لقد أخذنا رجالًا ونساء، وقمنا بنهب المنازل، فأجاب المشرف الأمريكي: حسنًا؛ أنتم تعرفون ما تفعلون.

الأمريكان كانوا على دراية بكل ما يحدث.

❑ المنافسة على اغتصاب امرأة:

ويتابع: «كان هناك نوع من المنافسة بين الشرطة الاتحادية وقوات الرد السريع، عندما قالت عناصر الشرطة الاتحادية: إنهم وجدوا امرأة حَسنة المظهر في أحد المنازل، وقاموا باغتصابها، قالت عناصر الرد السريع: إنهم يريدون الذهاب إلى ذلك المكان مرة أخرى.

❑ طوز خورماتو:

كذلك شهد مراسل مجلة «دير شبيغل» الألمانية حملة قتل مأساوية، قامت بها الميليشيات الشيعية في (مايو) العام الماضي، في مدينة طوز خورماتو جنوب كركوك.

وذلك الوقت قيل: إن أكثر من ألف سني قد اختفوا من طوز خورماتو وحدها!

الهاربون من مناطق القتال في العراق قد أكدوا شهادات اختفاء الكثيرين أيضًا، ولكن للأسف كل هذه الشهادات افتقرت إلى الأدلة الدامغة.

❑ الهروب مع الوثائق:

ويتذكر الصحفي العراقي آخر أيامه مع قوات الرد السريع، مشيرًا إلى أنه لم يعد باستطاعته تحمل ذلك.

ويضيف: «تخيلت أن تلك قد تكون زوجتي أو ابنتي! وعندما كان النقيب وأحد الجنود يضربان المعتقلين طلبوا مني أن أنضم إليهم وأشاركهم في ضرب المعتقلين.

لقد كان موقفًا عبثيًّا! الجميع عاملني كأني جزء من فريقهم، كان عليّ فعل ذلك لأني كنت خائفًا، فأنا كردي وأعمل لدى وكالة صحفية أمريكية، وكانوا أربعة أشخاص ويحملون السلاح، وطلب مني عدة مرات أن أشاركهم، قمت بصفع أحد المعتقلين، لكن ليس بقوة، كان أمرًا فظيعًا!! وكان آخر شيء فعلته هناك».

وفي محاولته الخروج من المنطقة سالمًا؛ تحدث الصحفي عن الطريقة التي تمكن من خلالها من المغادرة، وقال: «ادعيت أن ابنتي مريضة، وعدت إلى عائلتي في خانقين، وبقيت هناك بضعة أيام، وبعدها أخذت عائلتي إلى مكان آمن خارج العراق؛ لأنه كان من الواضح أن حياتي ستكون في خطر فور نشري للأدلة التي تثبت هذه الجرائم».

الصحفي علي أركادي يختم تقريره المطول بالقول: «الآن عرفت كيف استطاعت داعش السيطرة على الموصل وغيرها من المناطق السُّنية بسهولة».

ويضيف: «أنا وعائلتي الآن نعيش خارج العراق ، أين بالضبط؟ لا أستطيع أن أكتب عن ذلك لأسباب أمنية، أنا لم أصور أي شيء حدث هناك سرًّا، الجميع كان يشاهدني وأنا أوثق انتهاكاتهم لساعات طويلة.

نعم؛ لقد كانوا يرسلون لي -أيضًا- فيديوهات عن جرائمهم عندما أطلب منهم ذلك، وفيما يخص قتل الأخوين لقد قالوا لي: إني لي مطلق الحرية في إضافة فيديوهات القتل التي

صوروها إلى فيلمي الوثائقي.

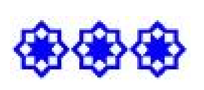
لقد فقدوا كل مقاييس الخطأ والصواب! لقد حاولت أن أستمر بمجاراة هؤلاء الاثنين حتى الانتهاء من معركة الموصل، ولكن ذلك لم يحدث، لقد أردت أن أجعل منهم أبطالًا ، لن يحدث ذلك أيضًا.

إنه من الصعب أن تبدأ حياة جديدة في مكان آخر، خانقين كانت موطني، لقد أحببت أن أعيش هناك، ولكن هذا ثمن عليّ أن أدفعه من أجل أن أنشر ما رأيته هناك».

❑ جرائم حرب:

وكانت منظمات حقوقية دولية قد أكدت قيام ميليشيات الحشد الشيعية بأعمال انتقامية طائفية بحق السنة في العراق، حيث اتهمت منظمة العفو الدولية «أمنستي» حكومة بغداد بغض الطرف عما سمته: (نمطًا ممنهجًا) من انتهاكات خطيرة ترتكبها ميليشيات الحشد الشعبي، وتغذي التوترات الطائفية؛ باستخدام سلاح الجيش، وشن جرائم هجمات انتقامية استهدفت بصورة رئيسة: العرب السنة، دون أن يخضعها أحد للمحاسبة.

كذلك اتهمت منظمة «هيومان رايتس ووتش» ميليشيا الحشد الشعبي بالقيام بأعمال نهب منازل، وإلحاق أضرار بها، أو تسويتها بالأرض في بلدة وأربع قرى قرب الموصل، خلال عمليات استعادتها من تنظيم الدولة؛ من دون أي ضرورة عسكرية ظاهرة، مشيرة إلى أن ذلك «يرقى لمصاف جرائم الحرب».



(٧) ملاحظات حول عملية طهران المسلَّحة

د. محمد السلمي - «الوطن السعودية»، (٢٠١٧/٦/١٤)

وقعت يوم الأربعاء من الأسبوع الماضي حادثتان على يد مسلَّحين في العاصمة الإيرانية طهران:

في الأولى: هاجم مسلَّحان ضريح الخميني بالبنادق الرشاشة، وفجّر أحدهما نفسه بحزام ناسف، وأصابوا عددًا من أفراد الأمن.

وفي الثانية: هاجم أربعة مسلحين مبنى البرلمان الإيراني، واحتلوا طابقَين من طوابقه، وأطلقوا النار على رجال الحراسة والمواطنين.

وأعلن حسين ذو الفقار -نائب وزير الداخلية الإيراني-: أن عدد ضحايا الهجومين بلغ (١٣) قتيلًا، و(٤٣) مصابًا.

هذه الأحداث كشفت كثيرًا من جوانب الضعف في الداخل الإيرانيّ وبنية النِّظام الحاكم، وأثارت بعض الاستفهامات نعرض أهمها في ما يلي:

١ - سهولة دخول المسلَّحين إلى مقر جهة حكومية، يُفترض أنها تتمتع بحراسات أمنية مشددة، وقد كشف ذلك أحد المصابين عندما زاره وزير الصحة الإيرانيَّة؛ إذ قال: «كيف يُعقل في الهيئة التشريعية وسط منطقة بهارستان أن يدخلوا بأسلحة بهذا الحجم؟! لم يكُن هناك أي عنصر من الشرطة، ولا أي قوات أمنية!».

وهذا يثير الشكّ حول العملية بأكملها، وما إذا كانت مدبَّرة!

نعلم أن إيران تواجه تحديات أمنية على حدودها؛ بخاصَّة في كردستان وبلوشستان، وأنها في مواجهات مسلَّحة مع عناصر انفصالية، فهل عجزت إيران عن مواجهتهم؛ فرأت وصف تلك

التنظيمات بالدواعش لكسب التعاطف الدولي والتجهيز لعمليات عسكرية ثقيلة ضدّ الأقلِّيَّات العرقية؛ بخاصَّة في شرق البلاد وغربها؟

يؤيد هذه القراءةَ: انتشارُ مقطع فيديو مطلع الأسبوع الجاري يُظهِر توجه أرتال ضخمة من الدبابات وراجمات الصواريخ الإيرانيَّة نحو الحدود مع الباكستان.

٢ - تدنِّي مهارات رجال الأمن في التعامل مع المسلَّحين، فقد شاهدنا الإرهابيين يظهرون عبر النوافذ ويطلقون النار، وبعضهم يخرج ثم يعود إلى داخل المبنى بكل سهولة، فأين الاحترافية في التعامل مع هذا النوع من المسلَّحين؟ وأين القنَّاصة؟

وأيضًا أظهرت الصور اختباء رجل أمن مسلَّح وراء بعض المدنيين؛ دون أن يحاول مواجهة المسلحين، ناهيكم بحماية المدنيين!

٣ - أظهرت مقاطع فيديو مصوَّرة في إيران حدوث تشابُك بالأيدي بين عناصر من قوات الأمن الداخلي، وآخرين من قوات الحرس الثوري المتخصصة في التعامل مع الشغب! ويبدو أن كل جانب كان يرغب في التعامل بطريقته مع حادثة البرلمان، في ما يمثّل صورة مصغرة لطبيعة البنية السياسية في النِّظام الإيرانيّ.

ففي إيران: مؤسَّسات الحكومة المرتبطة بوزير الداخلية ورئيس الجمهورية.

وفيها: «دولة الثورة» المرتبطة بالحرس الثوري والمرشد الأعلى علي خامنئي.

وهذا الصراع أمام الجميع يكشف حقيقة عدم التنسيق وعدم التناغم، وربما حقيقة التنافس غير الشريف بين أجنحة النِّظام الإيرانيّ!

٤ - كشف ردّ الفعل بعد الحادثة في طهران ارتباك النِّظام الإيرانيّ؛ بخاصَّة الحرس الثوري، فقد وجدنا العميد حسين سلامي - نائب قائد الحرس الثوري - يتّهم السعوديَّة صراحةً بالوقوف وراء العملية المسلَّحة، ثم يخرج بعدها وزير الاستخبارات محمود علوي ليقول: إنه لا يزال من المبكر التأكُّد من تورط السعوديَّة في هذه الحادثة.

أيضًا خرج بعض مَن وصفوهم بـ «خبراء اللغة العربية في إيران» ليقولوا: إن لهجة المتحدث الذي ظهر في التسجيل الذي بثَّه تنظيم داعش تؤكّد أن العناصر المسلَّحة تتحدث بلهجة مغاربية، وحدّد: اللهجتين الليبية والتونسية.

الواقع يؤكّد: أن مَن تحدث بالعربية ليس بعربي، وأكبر دليل على ذلك كلمة «أتزُنُّون» (أتظُنُّون).

الأهَمّ من ذلك: أن إيران بعد ذلك أصدرت قائمة بالعناصر المسلَّحة التي قُضِيَ عليها، وجميعهم يحملون الجنسية الإيرانيَّة!

٥ - نشرت وسائل الإعلام الإيرانيَّة صورًا لأحد القتلى من العناصر المسلَّحة، ونجد فيها شيئًا غريبًا؛ فتارة تُظهِر الصور المسلَّح مطروحًا على الأرض منتعلًا حذاءه، وتارةً أخرى تُظهِره وقد أُلقِيَ الحذاء إلى جواره، وتارةً جسده منحنٍ وتارةً منبسط، وتارة بنطلونه ممزَّق وتارةً سليم! مما يوحي باحتمالية تلفيق هذه الصور التي يشير فيها الأمن الإيراني إلى تمكُّنه من قتل المسلَّحين منفِّذي العملية.

٦ - للمرة الأولى يتبنى تنظيم «داعش» عملية مسلَّحة، ولا يزال التعامل الأمني معها مستمرًّا، فعادةً يتبنى داعش عملياته بعد ساعات من وقوعها، مما يثير علامات استفهام كثيرة!

فهل أرادت: قطع الطريق على جهات أخرى من جهة، ونفي التهم التي ترى ارتباطها بنظام «ولاية الفقيه»، من جهة أخرى؟

لماذا وجهوا خطابهم باللغة العربية؛ بينما إيران تتحدث

الفارسية؟ ولاحقًا ثبت أنهم من الإيرانيين؟

أسئلة كثيرة تبحث عن إجابة؟!

٧- كان المسؤولون الإيرانيّون يقولون: إن تنظيم «داعش» لن يجرؤ على الاقتراب من الحدود الإيرانيَّة، ناهيك باختراقها، وأن الشعب الإيرانيّ -بشيعته وسُنَّته- أبعد ما يكونون عن التأثُّر بالفكر الإرهابي.

بعد هذه العملية -إذا ما سلّمنا جدلًا بأن منفّذيها مرتبطون بداعش فعلًا- ثبت: أن إيران ليست بالقوة التي تحاول أن تصوِّر نفسها بها، والأهمّ: أنه حتى إذا كانت علاقة إيران بالتنظيمات الإرهابية جيدة؛ سواء القاعدة سابقًا أو داعش حاليًّا، وبينها وبينهم مصالح مشتركة؛ فالإرهاب يستهدف الأقرب إليه إذا شعر بتضييق الخناق عليه.

وهذا -أيضًا- يعيدنا مجدَّدًا إلى تسجيل الفيديو، عندما قال المسلَّح: «أتظنون أننا سنرحل؟»، فإذا كان هؤلاء دواعش فعلًا؛ فماذا يعني بـ «نرحل»؟ هل قرَّرت إيران التخلي عنهم وطلبت منهم المغادرة؛ فانتقموا منها؟

ختامًا: الإرهاب معضلة عالَمية، تحتاج إلى جهود كبيرة للقضاء عليه ومحاصرته، وإلى تعريف دقيق ومواجهة جادَّة لجميع التنظيمات الإرهابية؛ شيعية كانت أو سُنّية، المستقلة، وتلك التي ترعاها الدول وتموِّلها، وما لم يتحقق ذلك فسيستمر الخطر ولن ينجو منه أحد.

ولكي تثبت إيران محاربتها للإرهاب والانضمام للجهود العالمية في هذا الصدد فعليها إيقاف خلق الميليشيات، ودعم التنظيمات الإرهابية، وتسليم قيادات القاعدة المتواجدة على الأراضي الإيرانية.

بمعنى: الجميع ينتظر أفعالًا لا مسرحيات ومراوغات!

«الحشد الشعبي» الخطر الأكبر القادم من الشرق!

هيثم المومني - «الكون نيوز»، (٢٠١٧/٦/٤)

ميليشيات «الحشد الشعبي العراقي» في العراق ليست إلا ذراع عسكري لإيران الفارسية، كأذرعها العسكرية في دول أخرى؛ كحزب الله في لبنان، والحوثي في اليمن، وغيرها..

والهدف من هذه الأذرع العسكرية هو: السيطرة على هذه الدول، وتصدير ثورة الخميني إليها.

وقد تأسس الحشد الشعبي في العراق بفتوى دينية من المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني، وهو مكوّن بشكل رئيسي من الآلاف من المقاتلين الشيعة، بقيادة القائد في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني.

والحشد الشعبي اليوم جيش منظم ومسلح، ومدرب أكثر من القوات الأمنية العراقية، ويقوم بإبادة وتهجير غير الشيعة من سنة ومسيحيين وأكراد وغيرهم؛ لتكريس هيمنة الشيعة على زمام السلطة في العراق، ودعم السياسيين الشيعة الموالين لإيران بعد أن تراجعت ثقة الشارع العراقي بهم؛ لتحكم إيران قبضتها على العراق؛ الذي أصبح اليوم ولاية من ولايات الفقيه في إيران.

ميليشيات الحشد الشعبي الشيعي المجرمة تفننت بالتطهير العرقي للسنّة في المناطق التي دخلتها، مثل: الموصل والفلوجة وتكريت وغيرها، من: تعذيب، وسحل، وحرق، وتقطيع أجزاء من أجسامهم وهم أحياء، والتمثيل بجثثهم بعد قتلهم، وإعدامات جماعية، واغتصاب للحرائر، وسرقة أعضاء الجثث للاتجار بها، ونهب للبيوت، وخطف للآلاف من أبناء وبنات المناطق التي يدخلونها، وغيرها من الممارسات البشعة الوحشية التي لا تمت للإنسانية بصلة!!

وهم لا يميزون بجرائمهم بين مسن أو طفل، رجل أو امرأة.

وكل هذا يحدث تحت حقد طائفي واعتقادات وفتاوى شيعية، وصل بعضها إلى «أن من يقتل سني له الجنة»!

ولمن أراد أن يستزيد ويرى بشاعة جرائم الحشد الشعبي؛ فليشاهد عشرات الفيديوهات المنتشرة على «اليوتيوب»، وليقرأ اعترافات الصحفيين الأجانب، وتقارير «هيومان رايتس»، واعترافات من استطاعوا الفرار من الحشد الشعبي..

وقد حذر عدة قادة دول ومسؤولين كبار من الخطر الإيراني القادم إلى الدول العربية، منهم:

الملك عبد الله الثاني بن الحسين؛ الذي حذر في وقت مبكر سنة (٢٠٠٤) من الهلال الشيعي،

والملك سلمان بن عبد العزيز، والرئيس الأمريكي ترامب، في القمة السعودية الأمريكية.

والرئيس التركي رجب طيب أردوغان،

ووزير الخارجية السعودي الجبير، في أكثر من مناسبة، وغيرهم من القادة.

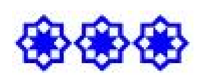
وسيستمر هذا الجيش الموازي «الحشد الشعبي» بما بدأ به من جرائم وتطهير عرقي للسنّة في مرحلة ما بعد تنظيم «داعش»، وخاصة بعد تمرير قانون الحشد الشعبي؛ الذي عزز وقوّن وجوده في العراق، وعمل على تكريس هيمنة الطائفة الشيعية على المشهد العراقي؛ خصوصًا وقد برزت مطالبات واضحة بإسناد دور سياسي للحشد الشعبي؛ من خلال السماح له بالتقدّم للانتخابات البرلمانية القادمة كهيكل قائم الذات، بينما تتداول أوساط سياسية عراقية إمكانية منح قادة الحشد ميزات سياسية من قبيل: الحصول على حقائب وزارية سيادية، وغيرها من الامتيازات.

اليوم الحشد الشعبي وصل الحدود العراقية السورية، لا بل إنه قد دخل بعض القرى السورية؛ حسبما طالعتنا بعض وكالات الأنباء العالمية، والتي أكدت -أيضًا- بأن إيران دفعت بقوات كبيرة من حرسها الثوري وميليشيا الحشد الشعبي إلى الحدود العراقية الأردنية.

وبعد تحذيرات التحالف الدولي لإيران والنظام السوري ومن خلفهم روسيا بعدم الاقتراب من منطقة «التنف» على الحدود الأردنية السورية الأردنية، واعتبارها خط أحمر، ووجود قوات التحالف الدولي على الحدود الأردنية السورية في الجانب الأردني، وإرسال الأردن لتعزيزات عسكرية إضافية إلى الحدود العراقية السورية، بعد أن أصبح الجيش الأردني وقوات الحشد الشعبي والحرس الثوري الإيراني وجهًا لوجه على الحدود، وتوتر العلاقات بين العديد من الدول العربية -حكومات وشعوب- مثل: السعودية والأردن والإمارات وغيرها مع كل من إيران وأزلامها في العراق وسوريا، وتحذيرات السعودية وسياسة ترامب المعادية لإيران، وتحذير فرنسا للنظام السوري وإيران بأن الكيماوي خط أحمر في سوريا..

كل هذه العوامل وغيرها تدعم نظرية: أن وصول ميليشيات الحشد الشعبي الشيعية إلى الحدود الأردنية السورية **قد تكون الشرارة الأولى لحرب عالمية ثالثة.**

إن الحديث عن الحشد الشعبي وجرائمه وخطره يحتاج لصفحات كثيرة، لا يتسع لها مقالنا، **لكن ما بات مؤكدًا أن الحشد الشعبي هو «الخطر القادم من الشرق»،** وقد يكون أخطر على السنّة من «داعش» حتى!



«حزب الله» بعد أوباما... انتهاء شهر العسل

حنين غدار - «مجلة المجلة»، (٢٠١٧/٦/١٢)

يتساءل الكثير في لبنان والمنطقة: ماذا تحضّر إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترمب لمواجهة إيران في المنطقة؟ بسبب تصريحات الكثير من المسؤولين الأميركيين المناهضة لإيران و«حزب الله»، وبشكل رئيسي بعد الضربة العسكرية الأميركية في سوريا.

وعلى الرغم من أن الاستراتيجية التي ستتبعها الإدارة الأميركية ما زالت غير واضحة -وذلك إن اتبعت استراتيجية شاملة- لإيران أو للشرق الأوسط بشكلٍ عام.

وبغض النظر عن النتيجة؛ هناك شيء واحد مؤكد، وهو: أن (شهر العسل) الذي تمتعت به إيران خلال عهد أوباما قد انتهى!

وبالتالي فإن على إيران، وبالتالي «حزب الله»: الاستيقاظ ومواجهة الواقع الجديد وغير السار!

▣ عقوبات إضافية على «حزب الله»:

الولايات المتحدة تبحث عن طرق لمواجهة إيران في المنطقة؛ سواء من خلال شن ضربات، أو فرض عقوبات، أو بذل جهود دبلوماسية ضد إيران وحلفائها في المنطقة.

فيقوم الكونغرس الأميركي -مثلًا- بالنظر في فرض عقوبات إضافية وشديدة على «حزب الله»، وقد تم بالفعل القبض على قاسم تاج الدين -أحد ممولي «حزب الله» الرئيسيين؛ الذي أُدرِج اسمه في اللائحة السوداء لوزارة الخزانة الأميركية في (٢٠٠٩)- في المغرب، وإرساله إلى الولايات المتحدة.

هذه التدابير وغيرها قد لا تجبر إيران على الخروج من سوريا ولبنان والعراق واليمن، ولكنها تستطيع حصر عملياتها في المنطقة.

وتحاول إيران اليوم تحقيق أقصى قدر من مكاسبها، وترجمة تقدمها إلى واقع طويل الأمد في المنطقة؛ وذلك لمعرفتها بأن قواتها وميليشياتها ستواجه المزيد من التحديات في سوريا، وربما العراق.

وإحدى السبل التي اتبعتها إيران لإثبات وتأسيس وجودها هي: إنشاء منطقة آمنة، بحكم الأمر الواقع تحت سيطرة «حزب الله» بين دمشق وحدود لبنان.

ولكن قد يكون لبنان المكان الوحيد الذي يمكن لإيران استغلال هذه المكاسب فيه على مستوى أعلى، واستخدامها لخلق بيئة مناسبة تسمح لـ «حزب الله» باستكمال سيطرته على جميع مؤسسات الدولة وقراراتها في لبنان.

لبنان، أو الرقة الشيعية؛ ستكون الفناء الخلفي الآمن والدائم للجيش الإيراني.

يعلم «حزب الله» أنه لن يحقق الانتصار الكامل والاستراتيجي في سوريا بالطريقة التي كان يأمل بها عندما دخل سوريا أول مرةٍ، وإيران تدرك تعقيدات العراق، واستحالة قدرتها على السيطرة على جميع مؤسسات الدولة؛ كما يفعل «حزب الله» في لبنان.

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن إسرائيل تزيد من ضرباتها ضد «حزب الله» في سوريا، وآخرها كان: شن ضربة على مستودعات الأسلحة التابعة لـ «حزب الله» بالقرب من مطار دمشق.

▣ إيران تعاني العزلة:

وعلى الصعيد السياسي: تجري مفاوضات ومحادثات بين الولايات المتحدة وروسيا، وروسيا وتركيا، وتركيا والسعودية، وروسيا وإسرائيل، حيث يتم اقتراح الصفقات ومناقشتها، وكل ذلك في حين أن إيران تبتعد أكثر فأكثر عن هذه المفاوضات وتعاني المزيد من العزلة.

وهم يعرفون أن نتائج هذه المفاوضات الدولية لن تكون

لصالح الأسد أو أي من شركاء إيران الآخرين، ستحدث أمور، وقريبًا ستدقق المنطقة أكثر على إيران.

وبالتالي؛ فإن «حزب الله» لن يضيع الفرصة التي تتيحها الانتخابات البرلمانية المقبلة في لبنان لحماية سلطته على لبنان، وضمان سيطرة الحزب على مؤسسات البلد.

وسيحدد القانون الانتخابي -الذي يسبب نقاشًا ساخنًا اليوم في لبنان- البرلمان الجديد، وبالتالي يمكن للحكومة الجديدة أن تكون إحدى وسائل إنشاء وضمان تلك السيطرة.

ولا يستطيع «حزب الله» تحمل المخاطرة بسيطرته على مؤسسات الدولة في لبنان، ويجب أن تكون إيران هي من يعطي القرار الرئيسي عندما يتعلق الأمر بقرارات لبنان الأمنية والعسكرية.

ويعتبر القانون الانتخابي الجديد حيويًا لـ«حزب الله»؛ لأنه سيحدد كل ذلك.

التهديد بالعنف:

ومنذ انسحاب الجيش السوري من لبنان في (٢٠٠٥) أجريت انتخابات برلمانية في (٢٠٠٥)، وأخرى في (٢٠٠٩).

وفي المرتين فاز بهذه الانتخابات فريق (١٤ آذار)، وهو: المعسكر السياسي المناهض لـ «حزب الله»، وتمكن من تشكيل حكومة.

ولكن في كلتا الحالتين كان على «حزب الله» اللجوء إلى العنف أو التهديد بالعنف؛ لتغيير نتائج الانتخابات البرلمانية الديمقراطية!

في المرة الأولى: شكل «حزب الله» أكبر وأطول اعتصام في وسط بيروت، لمدة عام ونصف العام، والذي انتهى فقط مع «أحداث ٧ أيار» من عام (٢٠٠٨)، و«اتفاق الدوحة» الذي أسفر عن إنشاء «حكومة الوحدة الوطنية».

وأزال هذا الاتفاق حكومة «١٤ آذار»، واستبدلها بحكومة لا تستطيع الحكم!

وفي المرة الثانية: أطاح «حزب الله» بحكومة رئيس الوزراء سعد الحريري، وهدد بظاهرة «القمصان السود» -التي تظهر إمكانية تكرار «أحداث ٧ أيار»-، وجعلت حليفها السابق نجيب ميقاتي يشكل حكومة جديدة.

وهذه المرة لا يريد «حزب الله» المخاطرة بالخسارة بعد الآن.

إن مرشحي «حزب الله» و«حركة أمل» سيفوزان، بغض النظر عن القانون! وذلك ببساطة لأن المجتمع الموال لحزب الله ليس لديه بديل سياسي آخر؛ ولذلك مهما كان مستوى عدم الرضا بين أنصار نصر الله عاليًا فإنهم سيفوزون لا محالة!

وما يثير قلق «حزب الله» فعليًّا هو: حلفاؤه السنة والمسيحيون والدروز، وقد خسر هؤلاء عمومًا الانتخابات البرلمانية لعامي (٢٠٠٥ و٢٠٠٩)، و«حزب الله» مشغول جدًّا في المنطقة، ولا يمتلك الوقت للقيام بانقلابٍ آخر ضد خصومه في حال فوزهم.

أما على صعيد الخدمات اللوجيستية؛ فكان من المقرر إجراء الانتخابات البرلمانية بين (٢١ مايو-أيار) و(٢١ يونيو-حزيران)، بيد أن أزمة قانون الانتخابات الجديد ستؤدي حتمًا إلى تأجيلها.

والمشكلة هي: أن البرلمان مدد ولايته مرتين في (٢٠١٣ و٢٠١٤)، بسبب المخاوف الأمنية.

وسيكون من الصعب جدًّا تمديد فترة البرلمان للمرة الثالثة، ولكن الأيام الأخيرة شهدت تقدمًا في التوافق بين القادة السياسيين على قانون انتخاب جديد؛ على أساس النسبية الكاملة وفق (١٥) دائرة، مع الصوت التفضيلي؛ على أساس القضاء.

ومن المفترض أن يبصر النور في الأيام القليلة المقبلة،

وذلك بعدما أقدم الرئيس اللبناني ميشال عون وفي (أبريل - نيسان) على تعليق البرلمان لمدة شهر لعرقلة خطط تمديد ولاية المجلس دون انتخابات للمرة الثالثة، بهدف دفع السياسيين إلى الاتفاق على إصلاحات قانون الانتخابات.

ولكن ارتفاع أسهم الاتفاق على قانون جديد سيحتم على المسؤولين إقرار تمديد تقني للمجلس النيابي الحالي لمدة لا تقل عن (٧) أشهر؛ بحسب تصريح وزير الداخلية اللبناني نهاد المشنوق؛ الذي أكّد: أن الوزارة تحتاج إلى (٦ أو ٧) أشهر كحد أدنى للتحضير لإجراء الانتخابات النيابية وفق القانون الجديد.

هذه المرة الانتخابات بالنسبة لـ «حزب الله» أكثر حيوية ووجودية من أي وقت مضى؛ لذلك فإن «حزب الله» عرقل مرور كل قانون كان من شأنه أن يعرض حلفاءه للخطر، وأصرّ على النسبية التي يحتفي بها حلفاؤه اليوم؛ لأنها ستؤمن صحة التمثيل؛ بحسب تصريحاتهم.

يحتاج «حزب الله» أن يكون لبنان مكانه الآمن والاستيعابي للعودة إليه في حال تدهورت الأوضاع في سوريا، كما أن إيران تحتاج إلى لبنان حيث يمكن لها أن تهدد وتشن حربًا منه ضد إسرائيل عندما تجد الوقت مناسبًا.

لا ينبغي على لبنان ومؤسسات الدولة والشعب اللبناني أن يكونوا قادرين على الرفض، ولكن وبالنظر إلى الصورة الأكبر؛ يرتبط لبنان اليوم جغرافيًّا بالمناطق الخاضعة لسيطرة «حزب الله» في سوريا.

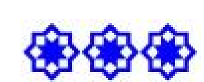
بعد إبرام الصفقات على الزبداني ومضايا الشهر الماضي؛ فإن معظم المناطق الواقعة بين دمشق والحدود اللبنانية لم تصبح فقط تحت سيطرة «حزب الله»، بل - أيضًا - تغيرت ديموغرافيًّا؛ أجبر السنة على الخروج من بيوتهم لإعطائها للشيعة.

والهيمنة السياسية والديموغرافية في هذه المنطقة وارتباطها المستمر بلبنان تجعل «حزب الله» أقوى في لبنان، أي: إذا تحولت الانتخابات لصالح «حزب الله».

هذه لحظة حاسمة وجوهرية جدًّا بالنسبة للبنان، والقرارات المقبلة بشأن قانون الانتخابات قد تغير المشهد السياسي في لبنان للأسوأ!

ولا يبدو أن المجتمع الدولي يهتم بلبنان؛ ولا سيما عندما يتعلق الأمر بهذه المسألة بالذات؛ إذ إن الاهتمام الدولي ينصب على القضايا الأمنية، والحفاظ على استقرار لبنان.

ولكن بعد أن يفرض «حزب الله» قانونه الذي يرغب فيه، وبالتالي النتائج الانتخابية والبرلمان؛ سيبدو لبنان مثل (مستعمرة إيرانية)، وهذا لا يمكن بالضرورة أن يوصف بأنه استقرار.





صدى الراصد
مكة
الكويت
شلت أيدي المجرمين
بلوشستان
عبد الحميد
اليمن
الاحواز
FARS NEWS AGENCY
البحرين
Go Out
فلتسقط الحكومة
سوريا
العراق
رافضي حاقد يتلذذ بقطع رؤوس أهل السنة، واللعب بها!..
ويقولون: الشيعة اخواننا!؟؟؟؟
إرهاب ملالي الشيعة وميليشياتهم دائم وممتد